الدكتور محمد حميد الله حياته وآثاره في الحديث النبوىّ والسيرة

* د. تاج الدين الأزهرى

لقد أنزل اللّه سبحانه وتعالىٰ كتابه المبين هداية للعالمين ، ونور للمؤمنين ، وحجة على خلق الله أجمعين. ودعا الناس الى التمسك بالسنة عقيدة وعملا. وبيّن أن السنة النبوية مع القرآن الكريم يشكلان الأساس الأصيل لهذا الدين ؛ إذ كان الإيمان بالرسول ﷺ أصلا من أصول الدين ، فكان الإيمان بسنته جزء لا يتجزء من الإيمان به عليه الصلاة و التسليم ضرورة ؛ لأنه المبّين للكتاب والمترجم له. قال اللّه تعالىٰ :

﴿ وَ أَنْزَلْنَا اِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُوْن﴾(١)

وقال سبحانه وتعالى أيضا:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُوْنَ حَتّٰى يُحَكِّمُوْكَ فِيْمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوْا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوْا تَسْلِيْما ﴾ (٢)

فقد أجمع الفقهاء المسلمون قديما وحديثا من لدن الصحابة إلى يومنا هذا على الاحتجاج بالسنة واعتبارها المصدر الثانى للدين بعد كتاب اللّه تعالىٰ ؛ إذ هى المفسّرة لنصوصه والمبيّنة لمعناه بتخصيص عامه وتقييد مطلقه وتوضيح مشكله و تعيين مبهمه وتفصيل مجمله وتمييز منسوخه وتبيين أحكامه.

قد عرف السلف الصالح هذه المكانة الأساسية العظمى للسنة النبوية وقدّروها حق قدرهافتفانوا في حفظها ورعايتها وأودعوها في الصدور والسطور وتعاهدوها جيلا

---

* الأستاذ المشارك بكلية أصول الدين ، الجامعة الإسلامية العالمية ، اسلام آباد

بعد جيل حريصين كل الحرص على الذب عنها، وإبعاد الدخيل عنها، ونقد رواتها والكشف عن مكنون جواهرها.

عندما تلألأ نور الإسلام شبه القارة الهندية في عهد التابعين بذل المحدثون جهودهم في نشر الحديث في هذه البلاد كغيرها من بلاد الإسلام، وقد مرت هذه الجهود بأدوار مختلفة حتى جاء القرن الثاني عشر الهجرى فدخل علم الحديث في دور جديد عظيم حيث أخذ الشاه ولي الله المحدث الدهلوى وأسرته خدمة الحديث على أكتافهم، وأخذ منهم هذا العلم علماء كثيرون. فمنذ ذلك العصر إلى يومنا هذا فإن علماء شبه القارة بذلوا جهودهم في خدمة هذا العلم من جوانب متعددة قديما وحديثا. ومن هؤلاء الأفذاذ الدكتور محمد حميد الله الذى أفنى حياته في خدمة العلوم الإسلامية عامة والحديث النبوى والسيرة خاصة.

هذا البحث مشتمل على قسمين. القسم الأول حياته والقسم الثاني آثاره في الحديث النبوى والسيرة.

القسم الأول

حياته: ولد الدكتور محمد حميد الله في ١٦ من المحرم الحرام سنة ١٣٢٦هـ يوم الأربعاء الموافق ١٩ من فبراير سنة ١٩٠٨م في حي حبيب على شاه بكتل مندى بمدينة حيدر آباد الدكن بالهند (٣) كما ذكره بنفسه في هامش كتاب" تذكرة القانون"(٤)

أسرته: كان الدكتور محمد حميد الله ينتمى إلى أسرة مشهورة تسمى "النوائط" في جنوب الهند وكانت عربية الأصل (٥) التى استوطنت على شاطئ الغربى من هذا البلد واشتهرت بالعلم والفضل. يعتبر جده القاضى محمد صبغة بدر الدولة المتوفى سنة

١٢٨٠هـ من الأدباء الأوائل اللغة الأردية وله كتاب مشهور في السيرة باسم "الفوائد البدرية" وخلف والده أبو محمد خليل الله المتوفى سنه ١٢٦٢هـ أيضا مصنفات مفيدة مع اشتغاله منصب سكيريتر للأمور المالية لو لاية حيدر آباد دكن۔ (٦)

تعليمهٔ الابتدائی

تلقى الدكتور تعليمه الابتدائى على يد والده ثم ألحقه والده بمدرسة مشهورة كانت تسمى "بدرالعلوم" ودرس فيه الى الدرجة السادسة ثم التحقق بجامعة النظامية لإكمال الدراسة الثانوية۔ (٨)

دراسته في الجامعة العثمانية

كانت الجامعة العثمانية هى الجامعة الوحيدة في شبه القارة التى كانت تمتاز بدراساتها المعاصرة وتجمع بين منهجين دراسيين الدينى والعصرى وتدرس طلابها بلغتى الأردية والانجليزية بخلاف جامعات الهند الأخرى التى كانت تدرس طلابها بالانجليزية فقط۔ أما المدارس الدينية في شبه القارة فهى تدرس الطلاب باللغة الأردية والعربية منذ زمن بعيد۔ التحق الدكتور بهذه الجامعة سنه ١٩٢٣م واجتاز الامتحان الثانوية العليا، ثم حصل على شهادة بكالوريوس ونال تفوقا وكان اسمه على رأس قائمة الحاصلين على الجوائز۔ ففي سنة ١٩٣٠م ، حصل محمد حميد الله على شهادة الماجستير في الفقه بتقدير جيد جداً كما حصل في نفس السنة على شهادة القانون۔ فتحت الجامعة العثمانية في هذه الآونة قسما جديدا لراغبى البحث فانضم الدكتور بهذا القسم وبدأ عمله كباحث بعنوان "القانون الإسلامى بين الدؤل"۔ كان الدكتور نشيطاجدا فى الأعمال الا جتماعية بجانب دراسته۔ ففي سنة ١٩٢٩م انتخب سكرتير لنادى القانون وفى سنة ١٩٣٠م أصبح نائبا للرئيس ثم رئيسا۔(٨)

رحلته إلى أوربا للدراسات العليا

كانت الجامعة العثمانية ترسل طلاب الدراسات العليا الى خارج البلاد لتكميل دراساتهم والاستفادة من المكتبات على نفقتها فسافر الدكتور الى خارج الهند لإعداد مقالته ، واستفاد خلال هذه الرحلة من مكتبات الشرق الأوسط و أروبا، وقدّم مقالته للحصول على شهادة دى ـ فل (دكتوراه الفلسفة) في جامعة ألمانيا بإذن مجلس الدراسات بالجامعة العثمانية ومنحت جامعة ألمانيا الشهادة دى ـ فل سنة ١٩٣٣م ، وكان عنوان المقال " المحايدة في الشريعة الإسلامية " وقد تم نشر المقال من المانيا في سنة ١٩٣٣م ـ حصل الدكتور على إجازة ثلاث سنوات من الجامعة العثمانية بسفره الى الخارج لكنه قدم مقالته في جامعة ألمانيا بعد عشرة شهور ، فأراد الذهاب إلى باريس لكى يحصل من هناك على شهادة أخرى في الفترة المتبقية لهذه المنحة التى قدمته له الجامعة العثمانية، فسافر إلى باريس وقدم مقالته في جامعة سوربون بباريس في أغطس ١٩٣٤م بعنوان :" الوثائق السياسة في عهد النبوى والخلافةالراشدة" وحصل على شهادة دى ـ لت من هذه الجامعة ـ وقد نشر هذا المقال في باريس سنة ١٩٣٥م ولم تنتهى مدة منحته الدراسية بعد ـ

وكانت السنة الواحدة ما زالت باقية وفكر الدكتور الذهاب الى روسيا للحصول على شهادة ثالثة فكان مستعداً لسفره إلى روسيا من باريس فتلقى برقية من الجامعة العثمانيه تطلب عودته إلى البلد ـ (٩)

عودته إلى الجامعة العثمانية وتدريسه فيها

عاد الدكتور محمد حميد الله إلى حيدر آباد الدكن في سنة ١٩٣٥م وبدأ بعمله في الجامعة العثمانية التى أوفدته للدراسات العليا إلى أو روبا وحان الوقت لكى

تستفيد من علمه وخبرته. ففي البداية تم تعيين الدكتور محاضراً للعلوم الإسلامية، فكان يقوم بتدريس مواد قسم العلوم الإسلامية بالإضافة إلى مكان يلقي المحاضرات على طلاب قسم القانون. ولما انتقل الدكتور مير سعادت على من الجامعة الى المحاكم الشرعية تم تعيين الدكتور محمد حميد الله كمدرس للقانون فبقى بالجامعة من حيث المدرس في قسم القانون الى سنة ١٩٤٨م (١٠)

مشاركته في وفد الأمم المتحدة

تم تقسيم شبه القارة إلى دولتين الباكستان والهند في أغسطس ١٩٤٧م وأعلنت بعد ذلك ولاية حيدر آباد استقلالها فأرسل رئيس هذه الولاية وفدا إلى الأمم المتحدة في أغسطس١٩٤٨م للدفاع عن استقلالها التى ما كانت تعترف بها دولة الهند. كان رئيس هذا الوفد نواب معين نواز جنج، وكان من أعضاء الوفد الدكتور محمد حميد الله والدكتور يوسف حسين خان الأخ الأصغر الدكتور ذاكر حسين خان رئيس الهندى الأسبق وظهير أحمد وشام مندر.

لما ها جمت حكومة الهند ولاية حيدر آباد الدكن فى ستمبر ١٩٤٨م وهاجم جيشها عليها من سبعة عشر جهات مختلفة تمّ سقوط دولة حيدر آباد الإسلامية في أيدى الهند بأكملها، فأرسل رئيس ولاية حيدرآباد برقيةً إلى الوفد وطلب منه العودة إلى البلد دون أن يواصل أعماله في الأمم المتحدة. (١١)

إقامته في باريس

عاد جميع أعضا الوفد إلى حيدرآباد ولكن الدكتور محمد حميد الله رفض أن يعود إلى أرض حيدر آباد المغتصبة واختار مدينة باريس لإقامته التى قد عاش فيها لمدة يسيرة خلال دراسته للحصول على شهادة دى. لت قبل أربعة عشر عاما ، وكانت

علاقاته الوطيدة مع جميع المتخصصين في القانون بسبب كتابة مقالته في القانون للحصول على شهاده دى ـ فل، ويخص بالذكر الأستاذ المستشرق ما سيجينان (Massignon)ـ و لما أراد الدكتور أن تكون مدينة باريس مقره الدائمى لإقامته فالتحق للعمل بالمعهد القومى للتحقيقات العلمية (C.N.R.S) تحت رئاسة هذا الأستاذ ـ وقد أنشى هذا المعهد للعلماء الذين كانوا يفدون إلى باريس بعد الحرب العالمية الثانية من أما كن عديدة من العالم ولم يكن له أى موارد رزق ـ انتدب الدكتور بهذا المعهد لأجل العلم؛ لأنه ذكر فيما بعد أن مثل هذا المعهد لا يوجد في أي مكان آخر ، ثم مدينة باريس توجد فيها المكتبات العديدة يصل عدد كتب بعضها إلى ثمانية ملايين ، وفى بعضها يصل هذا العدد إلى عشرة ملايين ، وهى حاجة الباحث التى لا يجد في أما كن سواها ، وفي مكتبة اللغات الشرقية توجد ثلاثة ملايين كتاب ـ ظل الدكتور يعمل في هذا المعهد قرابة عشرين سنة حتى أحيل إلى المعاش في سنة ١٩٦٨م ، و عاش بعد هذه المدة أيضا في باريس إلى ١٩٩٦، حيث مرض وأخذته حفيدة أخيه إلى أمريكا ـ (١٢)

تدريسه في جامعات أوربا والعالم الإسلامي

استقراره في باريس منحه الفرصة أن يستفيد أهل اوروبا من علمه ، فبدأ الدكتور مع عمله في المهعد القومى للتحقيقات العلمية أن يلقى محاضراته فى جامعات باريس وجامعات ألمانيا وخاصة جامعة بون التى قد عينته في السابق مدرسا فخريا حينما كان طالبا فيها للحصول على شهاده دى ، فل ، ثم غادرها إلى باريس ثم حيدرآباد (١٣) أثرت النشاطات والبحوث القيمة تأثيرا إيجابياً في العرب والشرق سواء، فبدأت جامعات تركيا تدعوه لإلقاء محاضراته في أوقات مختلفة ، فهكذا ألقى الدكتور محاضراته في جامعة استانبول وأنقره وأرض روم بتركيا ، كما ألقى محاضراته في جامعة كولالمبور بما ليزيا، وكان جميع نشاطات الدكتور تصب لإبراز حقائق الإسلام

والدفاع عنه. أسلم على يديه آلاف الناس في أوربا وخاصةً في فرنسا، وكان الدكتور يلقى محاضراته الأسبوعية في مسجد باريس خلال وجوده في هذه المدينة.(١٤)

أهم شيوخه

استفاد الدكتور خلال دراسته في الجامعة العثمانية من أساتذة ومشائخ أجلاء وهم:

① الشيخ مناظر أحسن الجيلانى.

② الشيخ المولوى عبد الحق الذى ج عرف " بابا ئائى اردو " اى عميد اللغة الأردية.

③ الأستاذ عبد القدير الصديقى.

④ الأستاذ عبد المجيد الصديقى.

⑤ المفتى عبد اللطيف .

⑥ السيد مصطفى القادرى .

⑦ المولوى محمد صبغة الله.

⑧ الدكتور سيد عبد اللطيف.

⑨ الدكتور جعفر حسين.

⑩ الأستاذ حسين على الميرزا.

والجامعة العثمانية كانت تمتاز بالجمع بين الأصالة والمعاصرة في المنهج العلمى ، وكان الهدف من قيامها تخريج نخبة من الطلاب القادرين عن دفاع الإسلام بأساليب معاصرة ، وكان المشائخ يُدَرِّسون فيها مع الدكاترة الذين تخرجوا من جامعات أوروبا. فقد تأثر الدكتور من أساتذته كثيرا فجمع بين القديم والجديد ، فكان

يجيد أربع لغات شرقية إجادة تامة (الاردية، والعربية، والفارسية، والتركية) ، بالإضافة إلى إجادته أربع لغات غربية (الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والإيطالية) وغيرها، فحصل الدكتور على المعارف الإسلامية من أساتذته كما عرف مكايدالغرب وفندها فى كتاباته.

مشاركته في تقنين الشريعة الإسلامية بباكستان

كما أسفلنا في الذكر أن الدكتور محمد حميد الله اختار مدينة باريس لإقامته الدائمة لعدة أسباب يراه مناسبا لإقامته. كتب اليه أصدقاؤه الكثيرون العودة إلى حيدرآباد، فأبى وكذلك كلما عرضت عليه حكومة باكستان وأصدقاء ه فيها الإقامة الدائمة هنا فلم يرض بذلك، ولكنه لم يبخل في مساعدته العلمية حول الموضوعات المهمة من تقنين الشريعة الإسلامية ورد شبهات المستشرقين وكيفية نشر الدعوة الإسلامية. ففي سنة ١٩٣٩م لما كان خان لياقت على خان أول رئيس الوزراء بباكستان رغبت حكومة في وضع الدستور للبلاد وأرادت تقديم مسودة القوانين للموافقة عليها طبقا للشريعة الإسلامية. فى ذلك الحين أراد القاضى. م ب أحمد أول رئيس البرلمان الاستشارة مع الدكتور فذهب إلى باريس باذن من رئيس الوزراء وأقنع الدكتور على زيارته لباكستان ومساعدته إياهم. ففى ٧ مارس ١٩٤٩م. قدم خان لياقت على خان هذه المسودة في البرلمان الباكستانى فوافق البرلمان عليها بأغلبية ساحقة أطلقت عليها "قرارداد مقاصد" (١٥) ثم شَكلّت الحكومة هيئة مستقلة باسم "تعليمات إسلامية بورد" لحل المشاكل الناجمة من القانون وأختير لعضوية هذه الإدارة العلماء الأجلاء منهم .

① المفتى محمد شفيع

② عبد الخالق

③ المفتى جعفر حسين المجتهد

④ الدكتور محمد حميد الله

وعينت الحكومة الشيخ ظفر أحمد الأنصارى سكرتير لهذه الإدارة، أسندت رئاستها إلى الشيخ سيد سليمان الندوى۔ (١٦)

فلم يبق الدكتور إلى مدة طويلة في الباكستان بعد موافقة البرلمان على القانون ورجعُ إلى مقر إقامته الدائمة في باريس۔

وفي عهد الجنرال ضياء الحق في ١٩٧٩م عرضت عليه رئاسة قسم السيرة النبوية بجامعة بهاول فور الإسلامية فلم يقبله ، ولكن وافق على إلقاء بعض المحاضرات فيها، فألقى هذه المحاضرات في مستهل القرن الخامس عشر الهجرى في مارس ١٩٨٠م التى اشتهرت باسم ''خطبات بهاول فور'' و طبع مرارًا۔ (١٧)

وفي يناير ١٩٩٢م لما زار نواز شريف رئيس وزراء باكستان الأسبق باريس فقابل الدكتور محمد حميد الله وطلب منه الزيارة لباكستان فتمت هذه الزيارة لباكستان في شهر مايو ١٩٩٢م ، فألقى خلالها محاضرات في عدة جامعات والنوادى العلمية وقدم أفكاره لحكومة باكستان ورجع إلى مقر إقامته الدائمة كعادته۔ (١٨)

وفاته

ذهب الدكتور إلى بنك في باريس في إحدى أيام يناير ١٩٩٦م ليأحذ بعض النقود من حسابه ولكنه وجد بأن أحدا من الناس زوّرَ توقيعه وأخذ من حسابه جميع النقود ، ولم يترك شيئا ، فرجع الدكتور إلى بيته ولم يخبر أحدا ، وبعد بضعة أيام كان يوم

الجمعة فذهب الدكتور لأداء صلاة الجمعة فأغمى عليه في مسجد باريس الذى كان يصلى فيه دائما ، كان معه صديقه الدكتور عبد المجيد الحيدرآبادى الذى أخذه إلى الطبيب فوراً واتضح أنه مصاب بمرض ضغط الدم النازل وسبب إغمائه خلو معدته من الطعام منذ عدة أيام ، لأن الدكتور عاش على الماء فقط ولم يطلب من أحدٍ شيئا كما أنه لم يخبر أحداً. حينما وصل خبر مرضه إلى حفيدة أخيه حضرت من أمريكا وأخذته الى ولاية فلوريدا. عاش الدكتور بعد ذلك في أمريكا وانتقل إلى رحمة الله تعالى في مدينة جيكس في ولاية فلوريدا الأمريكية في ١٧ ديسمبر سنة ٢٠٠٣م فى ساعة الحادى عشرة وهو في حالة النوم، وقد نام بعد أداء صلاة الفجر، وهكذا انتهت حياته الحافلة بالجهد المتواصل والعلم النافع بعد تقديم خدمة منهمرة إلى الأمة الإسلامية إلى مدة طويلة جز الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء. (١٩) آمين

أخلاقه وسلوكه

أ. زهده عن الدنيا :

كان الدكتور دائما يؤثر الآخرة على الدنيا كعلماء السلف الصالح الذين درس حياتهم ومشى على سلوكهم ، وعلى هذا تدل حياته التى عاش بين الناس. ففى سنة ١٩٦٣م قدّم له الوزير السعودى حسن آل شيخ الدعوة للتدريس في جامعة الملك سعود بالرياض بمقابل أى مرتب يريده ولكنه اعتذر من مجيئه إلى الرياض وطلب من الوزير مساعدته في إصدار المجلة باللغة الفرنسية من باريس لنشر الإسلام وفهمه لدى المسلمى الجدد في أفريقيا الذين لا يجيدون غير اللغة الفرنسية.وفى مستهل القرن الخامس عشر الهجرى منح له الجنرال ضياء الحق رئيس الباكستان الأسبق جائزه مليون روبية اعترافا لخدماته في ميدان البحوث والدعوة الإسلامية فتبرع

الدكتور مبلغ هذه الجائزة لصالح المجمع البحوث الإسلامية قائلا "لوأخذت هذا في الدنيا ماذا آخذ عند الله في الآخرة."

وفي إحدى زيارته لمدينة لاهور قام الشيخ محمد أشرف الذى كان يطبع كتبه بالانجليزية وينشرها في باكستان بتقديم بعض حقه إليه مقابل نشر كتبه فأخذ حقه و أرسل إلى بعض المحتاجين بطريق البريد ولم يأخذ منها شئ.وهذه الأمثلة تدل على زهدة عن الدنيا لأجل هذا عاش في الشقة المتواضعة التي استاجرها في سنة ١٩٤٨م إلى أن غادر باريس إلى أمريكا ، ولم يشيّد بيتا ولم يجمع مالاً وكان قلبه معلّقاً بالآخرة حتى يجدهناك كله مالم يأخذ في دنياه ، وهذا هو السبب أنه كلما أعطى مالاً أنفق في وجوه الخير ولم يبقيه عنده. (٢٠)

ب. التواضع

كان الدكتور حليما متواضعا مع علمه الجم ومعرفته لأكثر من ثمانية لغات شرقية وغربية وشهرته في العالم، نراه دائما لايتعالى ولا يتكبر ويجيب بتواضع كالسلف الصالح، كلما سُئِل فأجاب بما يعرف واعترف بقلة علمه، سئل رحمه الله عن حروف المقطعات فأجاب عن هذا السوال وقال في آخره "هذا خلاصة معلوماتى عن الحروف المقطعات واعتذر بأننى لا استطيع أن أفيدكم أكثر من هذا" (٢١) لما سئل رحمه الله عن انجيل البرناباس" فقال في آخر جوابه "موضوع قراءتى بعيد عنه فأنا لا أعرف الكثير حوله فأرجوكم أن تعفوني بفضلكم " (٢٢)

ج. الاعتدال

اختار الدكتور لنفسه منهجا معتدلاً عاش في الغرب ولكنه ما وجد عنده ما يدل على التعنت إلا التحرى في الحلال والبعد عن الحرام، وما عدا ذلك اختار رحمه الله

الطريق الوسط في كل ما له صلة بالمسائل المختلف فيها ، كان يُبدِى رأيه أمام الناس ويعطيهم حرية الاختيار في قبوله و عدمه. مرة وَجَّه إليه أحد الناس سؤلا "هل الصلاة التى عَلّم جبريل الرسول ﷺ كا نت صلاة أهل السنة أم أهل التشيع؟ فأجاب رحمه اللّه قائلا "ان الاختلاف الذى تجدونه بين صلاة السنة والشيعة ليس له عندى أهمية، فعليكم أن لا تجادلوا فيه ، أهل السنة والشيعه كلهم إخوة وهم مسلمون. وفي اختلاف صلاتهم حكمة وهى بقاء سنن الرسول ﷺ التى سنها في مختلف الأوقات الى أبد الدهر بواسطة هذا الأختلاف. (٢٣)

د. الانضباط

كان الدكتور منضبطا منذ طفولته حيث قيل إنه لم يتخلف عن الدرس طول عمر دراسة إلامرة واحدة وهو يوم الذى توفيت فيه والدته، وهذا التاخير لم يكن سوى النصف الساعة ؛ لأنه دفن والدته ثم اتجه إلى الدرس فورًا(٢٤) وخلال عمله بالجامعة العثمانية كان يحضر الجامعة حسب الوقت صباحا دون تأخير ويواصل أعماله طول النهار، وهذا الذى جعله أن ينهى كل أعماله في أوقاته كما ذكر بنفسه عن تاليف كتابه "التعريف بالإسلام" بأنه وزّع أبوابه على بعض أصدقائه بأن يكتب كل صديق بابه، وهكذا ينتهى الكتاب بسرعة ولكنه بعد مدة محدوة وجد أن أصدقاء ه لم يكتبوا شيئا وهو قد أنهى ما قرر لنفسه فبدأ بالباب الثاني، فبعد كتابة هذا الباب سأل الأصدقاء فكان ردهم مثل الماضى بأنهم لم يجدوا الفرصة للكتابة ، فبدأ بالباب الثالث وهكذا كتب جميع أبواب الكتاب بنفسه ونشره باللغة الانجليزية ثم. ترجم لتعميم فائدته إلى اللغات الأخرى،(٢٥) وكذلك كان منضبطا في ردو ده على الرسائل التى تصل إليه وكان يكتب ما بين ستة إلى ثمانية خطاب كل يوم بيده ما يدل على انضباطه في أعماله (٢٦) وكان يرى رد الخطاب مسؤلية الرجل مثل رده على السلام وكان يستشهد

لذالك بقول ابن عباس رضى الله عنه ـ ويااليت أن يقتدى العلماء اليوم الدكتور محمد حميد الله يردوا على كل ما ترد عليهم من الخطابات.

هـ ـ الورع

اختار الدكتور الورع في سلوكه وخاصة بعد أن عاش في باريس فإنه كان يحتاط كل الاحتياط في اختيار المأكل والمشرب ، وكان يتحرى كل الدقة حتى لايقع في الحرام لأجل هذا كان يطبخ في بيته ، وما كان يأكل في المطاعم إلا إذا اضطر ، ففى هذا الحال كان يختار مما لا شك فيه مثل السمك والخضروات ، وكان يبتعد عن أكل اللحم لأن الحلال قد يندر في هذه البلاد ، وعاش هكذا بالورع والتقوى حتى لقى الله سبحانه لكى يتمتع بنعيمه إلى الأبد نتيجة لهذا الاحتياط. (٢٨)

و ـ الجود والكرم

كان الدكتور كريما سخيا منذ أن كان في الجامعة العثمانية. لما بدأ الدكتور حصول العلم في الجامعة كان يذهب إلى مقر عمله بالباص فكان يدفع تذكرة لكل من وجده من طلابه في هذا الباص، فعلم طلابه بهذا السخاء وكثر عددهم يركبون نفس الباص صباحا متجهين إلى الجامعة، ولكن الدكتور لم يبخل في قطع التذكرة للجميع واستمر عطاء ه لكل من ركب هذا الباص من طلابه ولو كثر عددهم. وليس هذا فحسب وإنما كان كريما لضيوفه الذين كانوا يتزلون عنده في باريس فكان يكرمهم ويرشدهم ويساعدهم في بلاد الغير ويرعاهم كل الرعاية. (٢٩)

ز ـ الغيرة على الدين والوطن

كان الدكتور غيورا على دينه ووطنه فبعد أن استقر في باريس لم يعد إلى ولاية حيدرآباد الدكن المحتلة للهند بل لم يزر الهند قط ؛ لأن هذه الدولة احتلت واغتصبت

وطنه، وكذلك لم يزر البريطانية لأن هؤلاء الانجليز لم ينصفوا في قضية حيدرآباد الدكن فتركوها نهبا للهندوس مع أنه طاف معظم بلاد العالم لأجل إلقاء المحاضرات ، وهذا يدل على غيرته على دينه ووطنه، وهو لم يأخذ جنسية أى بلد حتى فرنسا وإنما عاش مهاجرا على الأوراق التى يحملها وقت سفره إلى الأمم المتحدة كتاباتها من جانب ولاية حيدرآباد.

عدد مقالاته و كتبه

لا يمكن "حد بيان كل ما صدر للدكتور محمد حميد الله من كتاباتها لأنها كانت تنشر في عدة لغات العالم التى لا يجيدها أى كاتب ، وانما يمكن بيان هذا العدد تقريبا. كان رحمه الله،يسجل كل ما صدر له مقال في أى مكان في الكراسة عنده فعند ما زار محمد صلاح الدين مدير مجلة التكبير الأسبوعية الصادرة من كراتشى الدكتور في باريس في سنة ١٩٩٢م سأله عن عدد مقالاته التى تم نشرها إلى ذلك الحين فأخرج رحمه الله كراسته وقال "نشرت لى إلى الآن ٩٢١ مقالا في المجلات المختلفة في العالم ، وأن أول مقال نشرت لى مجلة "نونهال" الأسبوعية الصادرة من لاهور باللغة الأردية في عددها ٨ يوليو سنة ١٩٢٨م وكان عنوان المقال" مدارس كي سير" اى الرحلة إلى المدارس (٣٠) ثم زاد هذا العددإلى أن قيل طبعت له أكثر من ألف مقال وأكثر من ١٧٥ كتاب (٣١) وأكثر كتاباته تدور حول الموضوعات الآتية:

① القانون الإسلامي

② السيرة النبوية

③ الدفاع عن السنة والرد على الشبهات حول الإسلام.

القسم الثاني:

آثاره في الحديث النبوي والسيرة

لم يدرس الدكتور محمد حميد الله الحديث النبوي درساً كما يدرسه المحدثون ، وهو ليس محدثا في اصطلاح المحدثين المعروف، ولكن أعماله في الحديث تحمل طرازاً نمطاً متميزا ذات فائدة عامة، وبسببها حصلت له مكانة خاصة في العصر الحاضر. بدأ المستشرقون من القرن الماضي يشككون المسلمين في تراث الإسلام وخاصة الأحاديث النبوية الشريفة بأنها جمعت ودونت بعد وفاة الرسول الله ﷺ في القرن الثالث وكان الناس يعتمدون على ذاكرتهم إلى هذا العهد ويمكن فيه السهو والنسيان لأجل هذا لا يمكن الاعتماد على الأحاديث الموجودة عند المسلمين. وكانت لهم شبهات آخرى حول كتابة الأحاديث النبويه بأن الرسول منع عن كتابتها فكيف يمكن للصحابة كتابه الأحاديث ومخالفة أمر الرسول الله ﷺ.

كان الدكتور قد درس في الغرب وخاصة في ألمانيا وباريس وتمكن على إجادة ثمانية لغات منها أربعة شرقية وأربعة غربية ، فاستطاع أن يرد على هؤلاء المستشرقين في عقر دارهم. فأخذ الدكتور الدفاع عن السنة على عاتقه ضد هؤلاء على طريقتهم التى تعلمها منهم ، وهكذا اشتهر في العالم بسبب دفاعه عن السنة بأسلوب جديد ، ثم كتب كتاباته في السيرة النبوية ودافعها عن كل اعتراض وانتشرت كتاباته في العالم وانتفع به الناس وأنا اذكر بعض آثاره في الحديث النبوي والسيرة.

آثاره في الحديث النبوي:

❶ صحيفة همام بن منبه

ومن أجلّ الأعمال التى قام بها الدكتور محمد حميد الله نشر صحيفة همام بن منبه التى تصل كتابتها إلى ما قبل ٥٨ الهجرية. وهي الصحيفة التي كتبها الصحابي الجليل أبو هريرة. رضى اللّه عنه. من الرسول الكريم ﷺ وعرفت بالصحيفة الصحيحة، ثم نقل منه تلميذه همام بن منبه، وهي أقدم ما وصل إلينا من أحاديث الرسول في الصورة الكتابية عثر عليه الدكتور خلال دراسة في ألمانيا في إحدى مكتبات برلن فى سنة ١٩٣٣م، ولكن المخطوط كان ناقصا فكان يتمنى أن يجد نسخة أخرى لكى يقوم بنشرها ، بعد التحقيق والدراسة فشاء الله أنه وجد نسخة أخرى لهذا المخطوط بعد مدة طويلة في المكتبة الظاهرية بدمشق، فقارن بين النسختين (٣٢) كتبت النسخة الأولى من المخطوط في بداية القرن الثاني عشر الهجرى وكتبت النسخة الثانية من المخطوط في القرن السادس الهجرى. (٣٣) بعد المقارنة بين النسخ الخطية كتب الدكتور لها المقدمة فى بيان تدوين الحديث وكتابتها في العهد النبوي وأثبت بالشواهد بأن أحاديث رسول الله ﷺ كانت تكتب في عهد النبي، وأنه أجرى إحصائية عامة للمسلمين بعد وصوله المدينة المنورة في السنة الأولى من الهجرة وكان عدد نفوس المسلمين قد بلغ ألفاو خمس مائة رجل، (٣٤) كما أن النبى كتب كتابا بين المهاجرين والأنصار واليهود، وهو يعتبر أول وثيقه دستورية للدولة الإسلامية التى كان يقودها النبي الكريم ﷺ . (٣٥) ثم ذكر الدكتور أصحاب الرسول غير أبى هريرةرضى الله عنه الذين كانوا يكتبون أحاديث الرسول ﷺ بإذنه. (٣٦) وهكذا فند الدكتور بكتابة المقدمة تحقيق هذا المخطوط مزاعم المستشرقين بأن الحديث لم تكتب في عهده ولا في عصر الصحابة وإنما كتبت في القرن الثالث.

نشر الدكتور هذه الصحيفة أول مرة في ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م في مجلة المجمع العلمي بدمشق في أعدادها الأربع بالتسلسل(٣٧) ففرح المسلمون على نشرها وأثنوا على جهود الدكتور لأن هذا العمل كان مفخرة لهم كما كان له. تقبل الله منه ويجعله ذخراً لآخرته آمين ! ثم نشرت من قبل المكتبات الأخرى من العالم العربى.

ترجم هذه الصحيفة إلى اللغة الأردية أخو الدكتور الأكبر محمد حبيب الله وصحح الدكتور بنفسه هذه الترجمة وخَرَّج أحاديثها من صحيح البخارى وصحيح مسلم والكتب المتداولة في الحديث، ووضع الترقيم لجميع الأحاديث. تصل عدد أحاديث هذه الصحيفة إلى ١٣٨ حديثا. شكر الدكتور في المقدمة للأستاذين أولهما الدكتور زبير أحمد الصديقى الذي دله على النسخة الثانية للمخطوط وثانيهما الشيخ مناظر أحسن الجيلانى الذي تتلمذ الدكتور على يده في الجامعة العثمانية بحيدرآباد كما جعل الدكتور في آخرها ملحقا باسم " بازياد". كتب فيه مالم يستطع أن يكتب في مقدمتها وقت إرساله إلى المطبع ، ثم وجد هذه المعلومات في مكتبة استانبول فقد مها للقراءة دون بخل. (٣٨)

نشرت الترجمة الأردية مع نص الحديث باللغة العربية لأول مرة من حيدرآباد الدكن في سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م ثم طبعت مرارا من أماكن عديدة من باكستان والهند كما ثم ترجمها إلى اللغة الفرنسية والانجليزية والتركية.

❷ كتاب السرد والفرد في صحائف الأخبار

الاسم الكامل لهذا الكتاب هو " كتابُ السرد والفرد في صحائف الأخبار ونُسَخُها المنقولة عن سيد المرسلين ﷺ " وهو من تأليف الشيخ أبو الخير أحمد بن اسماعيل بن يوسف الطالقاني القزوينى الذي كان عالما بالحديث وأحد كبار فقهاء

المذهب الشافعي في القرن السادس الهجرى. ولد الشيخ ابو الخير في سنة ٥١٢هـ ومات في سنة ٥٩٠ هـ وكان قزوينيا مولداً و وفاةً.(٣٩) ذكر المصنف نفسه وجه تسمية كتابه فقال " هذا الكتاب يتضمن صحائف ونسخا تلقينا كل منها تحوى أخبارا كثيرة عن سيدنا المصطفى ﷺ بإسنادها الوحيد تسهيلا لحفظها على طلاب علم الحديث سميته "كتاب السرد والفرد" يعنى به سرد الأحاديث المتعددة بالأسانيد المنقولة المتفقة.(٤٠)يتضمن الكتاب عدة صحائف لبعض كبار التابعين عن أصحاب رسول الله ﷺ وهي:

① صحيفة همام بن منبه عن أبى هريرة.

② صحيفة كلثوم بن محمد عن أبى هريرة.

③ صحيفة عبد الرزاق عن أبي هريرة.

④ صحيفة حميد الطويل عن أنس بن مالك .

⑤ صحيفة من طريق أهل البيت عن على بن أبى طالب.

⑥ صحيفة إلياس وخضر عليهما السلام عن النبي ﷺ .

⑦ صحيفة الأشبح عن على بن أبى طالب.

⑧ صحيفة جعفر بن نسطور الرومى.

⑨ صحيفة خراش عن أنس بن مالك.

⑩ صحيفة عبد الرزاق عن ابن عمر.

١١. صحيفة جويرة بنت اسماء عن ابن عمر.

نشر الدكتور الكتاب من النسخة الخطية قد كتبت في سنة ٥٩٩هـ وحقق تحقيقات ممتازا. رقّم الأحاديث لكل مخطوط ثم رقّم ترقيما مسلسلا لجميع أحاديث

الكتاب، فوصل عدد أحاديث الكتاب إلى ٤٥٤ حديثافي إحدى عشر صحائف مختلفة ثم ترجمها إلى اللغة الانجليزية وكتب مقدمة مفصلة عرف فيها جميع الصحائف وألقى الضوء على تاريخ تدوين الحديث.

نشر الكتاب المجلس الوطنى للهجرة باسلام آباد في ١٤١هـ/١٩٩٠م بتقريظ شريف الدين بيرزاده طبع في الكتاب من اليمين متن الأحاديث النبوية باللغة العربية في ٧٣ صفحة ثم أعطيت صور بعض الصفات للنسخة الخطية ، ومن اليسار أولا تفريط شريف الدين بير زاده ثم تعريف الدكتور محمد حميد الله لأصحاب الصحائف وتاريخ تدوين الحديث في ٢٩ صفحة ثم ترجمة انجليزية لمتن الأحاديث في ١٠٢ صفحة.

آثارة في السيرة النبوية

❶ الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة

جمع الدكتور محمد حميد الله في هذا الكتاب الوثائق السياسة التي كتب في عهد الرسول والخلافة الراشدة وأرسلها الرسول وخلفاء ه إلى الملوك ورؤسا القبائل كانت بعضها تتعلق بنشر الإسلام وبعضها بأمورتا ديبية ، كما أن بعضها توجد ذكر بعض العطايا تصل عدد الوثائق المختلفة في هذه المجموعة إلى ٣٧٣ وثيقة.

قسم الدكتور هذه الوثائق إلى أربعة اقسام.

القسم الأول يشتمل على الوثائق للعهد النبوى قبل الهجرة:

القسم الثاني يشتمل على الوثائق للعهد النبوى بعد الهجرة.

فبدأ في هذا القسم من الكتاب الذي كتبه رسول اللّه ﷺ بين المهاجرين

والأنصار واليهود، ويعتبر أول وثيقة دستورية للدولة الإسلامية بالمدينة المنورة، ثم قدم من الوثائق ماله صلة بالدولة الرومية ثم ماله صلة بالدولة الفارسية ثم ماله صلة بالقبائل العربية.

والقسم الثالث: يشتمل على وثائق عهد الخلافة الراشدة فجعل فيها أولا وثائق خلافة أبى بكر ثم وثائق خلافة عمر ثم وثائق خلافة عثمان ثم وثائق خلافة على.

والقسم الرابع: يشتمل على ضمائم ذكر فيه مانسب إلى النبي ﷺ من العهود مع اليهود والنصارى والمجوس، ثم ألحق بالكتاب الوثائق التى عثر عليها بعد بدء طبع الكتاب وجعل في آخره فهارس متنوعة تمتاز الكتاب بفهرس الصور وفهرس الخرائط والجداول.

ذكر الدكتور في مقدمة الطبعة الأولى " ولا يقال أن الرواية الشفوية هى وحدها التى المعتمد عليها في أوائل الإسلام ، إذ أن المسلمين قد أمروا أن يكتبوا جميع ما فيه من حقوق العباد ويستشهدوا عليه فإن

﴿ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ﴾(٤١)

من ثم كتب النبي جميع المحالفات والمعاهدات مع القبائل والملوك سوى ما كتب إليهم من المراسلات.(٤٢)هذا الكتاب في الأصل هى رسالة قدمها الدكتور للحصول على شهادة دى.لت من جامعة سوربون بفرنسا في سنة ١٩٤٣م ثم طبعها في فرنسا في سنة ١٩٣٥م واعتبرها ناقصة ثم أضاف عليه وطبع لأول مرة من القاهرة في سنة ١٩٤١م ثم طبع ثانيا من القاهرة مع تصحيحات وإضافات من الدكتور في سنة ١٩٥٦م ، نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر، ثم نشر من بيروت مرتان مرة في سند ١٩٦٩م ومرة في سنة ١٩٨٥م.

كلما طبع هذا الكتاب بطبعة جديدة أضاف الدكتور بإضاف جديدة كعادته، ترجم الكتاب إلى اللغة الأردية الشيخ أبو يحى إمام خان النوشهروى ونشره مجلس ترقى ادب بلاهور ولكن الدكتور لم يرض بهذه الترجمة واعتبرها ناقصة ثم نشرت هذه الترجمة ثانيا في ١٩٨٦م بعد التصحيح.

❷ نظام التعليم في العهد النبوى

يشتمل هذا الكتاب على بابين كتب الدكتور في الباب الأول عن نظام التعليم في العصر الجاهلي ثم تحدث في الباب الثاني عن جهود الرسول ﷺ في نشر العلم قبل الهجرة وبعدها، وألقى الضوء على أول مدرسة إسلامية لأصحاب الصفة، ثم كتب عن تدوين القرآن والسنة وتقدم المسلمين في مختلف فنون العلم في عهده ﷺ - وكان الكتاب في الأصل مقالاً كتبه الدكتور في اللغة الإنجليزية وطبعته مطبعة الثقافة الإسلامية بحيدرآباد الدكن في سنة ١٩٣٩م، ثم نقله الدكتور إلى اللغة الأردية فطبع في مجلة المعارف الشهرية التى تصدر من أعظم كره في سنة ١٩٤١، ثم ظهر في صورة كتاب لأول مرة من أعظم كره في سنة ق١٩٤١م. ثم نشر الكتاب للمرة الرابعة من قبل مجلة النظامية بحيدرآباد الدكن في سنة ١٩٤٢م - ثم ضمته مكتبة الجامعة بدهلى في كتاب الدكتور ''نظام الحكم في العهد النبوى'' وتم طبعه للمرة السادسة في سنة ١٩٤٤م ، ثم طبع هذا الكتاب للمرة الثانية فطبع معه المقال للمرة السابعة في سنة ١٩٤٧م ، ثم أدخله الدكتور في كتاب ''السيرة النبوية'' باللغة الفرنسية كباب مستقل فطبع مع هذا الكتاب للمرة الثامنة في سنة ١٩٥٩م - ثم نشر وحده من حيدرآباد الدكن في سنة ١٩٦٩م ثم طبع الطبعة العاشرة أيضا من حيدرآباد الدكن في سنة ١٩٧٦م ، حيث طبعه أحد التلاميذ الدكتور وهو الدكتور يوسف الدين رئيس الأسبق لقسم الثقافة الإسلامية بالجامعة العثمانية بحيدرآباد الدكن. (٤٣)

❸ رسالة إلى النجاشي

هذه رسالة صغيرة جدا تشمل ٢٤ صفحة ، طبعته "اداره ترقى تعليم اسلامي" بحيدرآباد الدكن في سنة ١٩٣٢م باللغة الأردية وكان معها الصورة الخطية لرسالة الرسول ﷺ إلى النجاشي. (٤٤)

❹ كتاب المحبر

هذا الكتاب ألفه الشيخ محمد بن حبيب البغدادى المتوفى سنة ٢٤٥هـ وهو أقدم من الطبرى والمسعودى وابن قتيبة في كتابة التاريخ ، كان لهذا الكتاب نسخة خطية وحيدة في مكتبة المتحف البريطانى بلندن، فأخذ الدكتور هذه النسخة الخطية الوحيدة ونشرها في صورة الكتاب بتحقيقه تحقيقا ممتازا. طبعه دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن في سنة ١٩٤٢، والكتاب باللغة العربية (٤٥)

❺ نظام الحكم في العهد النبوى

يشمل هذا الكتاب على مجموعة لمقالات الدكتور الآتية:

- لماذا ندرس السيرة النبوية؟
- دولة مكة و المدينة.
- أول دستور في العالم.
- التصور القرآنى للدولة.
- العدل الإسلامى .
- نظام التعليم في العهد النبوي.

- تأثير الجاهلية على النظام الاقتصادى.
- أصول السياسة في العهد النبوى.
- تأليف القلوب أول قاعدة السياسة الخارجية.
- الهجرة.
- الرسول والشباب .
- تعامل الرسول مع الشباب.

طبعت بعض هذه المقالات خلال الفتره ١٩٣٧-١٩٤٣م في المجلات الكبرى الهندية مثل المجلة السيرة، مجلة التحقيقات العلمية، والمجلة النظامية، المجلة السياسة ومجلة المعارف، وكلها كانت تصدر من حيدرآباد الدكن إلا مجلة المعارف ، وهى كانت تصدر من أعظم كره. وقرأ بعضها الدكتور في الندوات العلمية في الهند ثم طبعت وتّم نوز يعها للفائدة العامة.

ظهرت هذه المقالات في صورة كتاب لأول مرة في سنة ١٩٤٤م ونشرته مكتبة الجامعة بدهلى ثم نشره للمرة الثانية المكتبه الإبراهمية بحيدرآباد الدكن في سنة ١٩٥٠م ثم نشره للمرة الثالثة اكاديمية السند بكراتشى في سنة ١٩٨١م.

يقع الكتاب في ٣٥٣ صفحة ، ٥٣ صفحة خصصت للفهارس. تمتاز الكتاب بالجداول والخرائط التى تساعد القارئ على فهم الموضوع، ثم ذكر الدكتور على هامش كل صفحة المصادر والمراجع في اللغة الانجليزية والفرنسية والألمانية فارتفع بهذا مرتبة الكتاب بين الأوساط العلمية.(٤٦)

⑥ ميادين الحرب في العهد النبوي

هذا الكتاب يبحث عن غزوات النبي ﷺ مثل غزوة بدر، والأحد، والخندق، وفتح مكة ، وغزوة حنين وغير ذلك ، كتب الدكتور على هذه الغزوات من وجهة النظر الحربية والعسكرية بأسلوب جديد ، و يعتبر الكتاب نوع فريد في موضوعه ، يمتاز الكتاب بأن المصنف زار هذه الأماكن التى حارب فيها رسول الله ﷺ مع أعدائه لمشاهدة علمية مرتين لأجل الكتابة حول هذا الموضوع، و وضع الجداول بنفسه مع التزويد بصور فوتو غرافية التى تفيد القارى في فهم هذه الحروب.

ذكر الدكتور في ترجمته الانجليزية لهذا الكتاب بأنه قرأ مقالا مختصرا على هذا الموضوع باللغة الفرنسية في جامعة سوربون بفرنسا في سنة ١٩٣٩م و وضع الأماكن بالخرائط للمستفيدين فطبع المقال بهذه باللغة الفرنسية ثم نقلة الدكتور إلى اللغة الأردية فطبعته مجلة التحقيقات العلمية بالجامعه العثمانية في سنة ١٩٤٠م ، ثم نشرته بعد ذلك المجلات الكبرى الهندية حتى ظهر في صورة كتاب لأول مرة في ١٩٤٥م وطبعته شركة وراقة بحيدرآباد الدكن، ثم طبعه ثانيا مطبع الانتظامى. كما آفاد الدكتور بأن اللّٰه سبحانه وفقه لزيارة هذه الأماكن مرة ثانية بعد نشر الكتاب الانجليزية وأنه تمكن على حصول معلومات جديدة فيضيفه إلى الكتاب.

طبع هذا الكتاب مرارا باللغة الأردية كما طبع مرارًا باللغة الانجليزية. نقله إلى اللغة العربية عبد الفتاح إبراهيم باسم "محمد القائد" ونشره من القاهرة في سنة ١٩٥٤م كما نقله إلى اللغة الفارسية غلام رضا سعدى ونشره من طهران في سنة ١٩٥٦م وأيضا نقله إلى اللغة التركية صالح تك نشره من استانبول في ١٩٦٢م. يشتمل الكتاب على ثمانية أبواب الآتية:

① أسباب الحروب النبوية ﷺ.

② البدر.

③ أثريات ميدان البدر المعاصر.

④ الأحد.

⑤ الخندق.

⑥ فتح مكة.

⑦ الحنين والطائف.

⑧ حروب اليهود. (٤٧)

❼ حياة الرسول السياسة

هذا الكتاب يبحث عن الجوانب الجديدة عن سياسية الرسول ﷺ ويوضح علاقته بقبائل العرب المختلفة مثل القريش في مكة وأهل الروم وأهل إيران وأهل الحبشة وغير ذلك. والكتاب في الأصل مجموعة مقالات التى كتبها الدكتور خلال الفترة ١٩٣٥-١٩٥٠م وهى ٣٥ مقالة منها ثلاث مقالات كتبها في ١٩٦٧م. وبسبب ذلك لم يبخل الدكتور من كتابة تاريخ نشر كل مقال في بدء الكتاب. ذكر الدكتور في مقدمته لأنه ما خطر بباله وقت كتابة هذه المقالات بأنها سوف تصبح أبواب كتاب مستقل ، وأن القارى سوف يقرأ مقالته مع مقالات أخرى في نفس الموضوع. وإننى أحب الكتابة على ترتيب الأمصار والقبائل دون أن كتبه حسب السنين. طبع الكتاب لأول مرة في سنة ١٩٥٠م ثم راجعه الدكتور للطبعة الثانية أضاف إليه بعض المعلومات الجديدة وصَوّب بعض الأخطاء في سنة ١٩٦٧م. ثم طبعه للمرة الثالثة دار

الإشاعة بكراتشى بإذن المؤلف بإضافات جديدة أخرى في سنة ١٩٨٠م.(٤٨)

⑧ السيرة النبوية

كتب الدكتور في هذا الكتاب السيرة النبوية باللغة الفرنسية ، ويعبتر الكتاب هدية ثمينة من الدكتور إلى أهل فرنسا. طبع في مجلدين ، لأول مرة في سنة ١٩٥٩م بفرنسا ثم طبع ثانيا فى سنة ١٩٧٤م أيضا في فرنسا ترجم الدكتور محمود أحمد غازى المجلد الأول منه إلى اللغة الانجليزية ونشره مجمع البحوث الإسلامية باسلام آباد في سنة ١٩٩٨م.

⑨ محمد رسول الله ﷺ

جمع الدكتور في هذا الكتاب مقالاته المختلفة حول السيرة باللغة الانجليزية في مكان واحد ثم قسمها إلى ١٦ بابا ، يجد القارى الاختصار في جميع جوانب السيرة في هذا الكتاب. أما الكتب الأخرى للدكتور فتوجد فيها التفصيل. طبع الكتاب لأول مرة في حيدرآباد الدكن وي سنة ١٩٧٤م ثم طبع في كراتشى سنة ١٩٧٩م ، كتب الدكتور في أول الكتاب مقدمة مختصرة وجعل في آخره فهارس ، ترجمه إلى اللغة الأردية نذير حق وثم ترجمته إلى اللغة التركية أيضاً. (٤٩)

⑩ خطب بهاولبور

ألقى الدكتور هذه الخطب أمام جمع من أهل العلم والفضل فى الجامعة الإسلامية بهاولپور على دعوة من رئيسها في مارس ١٩٨٠م وتعتبر خطباهامة بسبب غزارتها العلمية وأسلوبها الجميل كأنها هدية إلى الأمة الإسلامية في مستهل القرن الخامس عشر الهجرى، كتب الأستاذ عبد القيوم عن هذا الخطب:

" على الرغم من أن هذه الخُطَب لم تكن مرتبة حسب كتاب مستقل ولكنها من حيث إفادتها العامة قد زادت قيمتها، لأن الخطيب الفاضل الدكتور محمد حميد الله قد ألقى هذه الخطب في ضوء خبرته الطويلة وقراءته الواسعة ، أعطى السامع التصور الواضح للإسلام و نظامه الاجتماعي مقارنا بالديانات الأخرى، وهكذا تتجلى الثقافة الإسلامية من خلالها." (٥٠)

تصل عدد الخطب التى ألقاها الدكتور إلى اثنى عشر خطبة ، ومنها الخطب الست الأخيرة لهذه المجموعة تدور حول السيرة ﷺ و عناوينها كالآتى:

① الدولة في العهد النبوى ونظامها.

② نظام الدفاع والغزوات في العهد النبوي.

③ نظام التعليم في العهد النبوي.

④ العدل والتشريع في العهد النبوي.

⑤ النظام المالى والتقويم في العهد النبوي.

⑥ الدعوة والتعامل مع غير المسلمين في العهد النبوي.

سجلت هذه المحاضرات على الشريط المسبحل خلال إلقاء ها ثم نقلت حرفاً حرفاً على الورق ، وقدمت للقراء وأهل العلم بعد طبعها في ابريل ١٩٨١م من قِبَل الجامعة الاسلامية ببهاولبور، وكانت هذه من الطبعة الأولى لها ثم طبعت ثانيا في سنة ١٩٨٢م ، وراجع هذه الطبعة الدكتور نفسه وكتب على النسخة المرسلة إليه بعد المراجعة " نسخة مصححة " مع توقيعه كما تقدّم بتقديم موجز في أول الكتاب وجعل

في آخره الفهارس مع ذكر المراجع من كتبه ومقالاته التى توجد فيها معظم مواد هذه المحاضرات. ثم أعيد طبع هذه المحاضرات مرارا من قبل مجمع البحوث الإسلامية فصدرت الطبعة الثانية من المجمع في سنة ١٩٨٨م والثالثة في سنة ١٩٩٢م والرابعة في سنة ١٩٩٥م ، وهذا دليل على إفادتها و قبولها بين الناس.

١١. كتاب السيرة لابن اسحاق

كتاب السيرة لمحمد بن اسحاق المتوفى سنة ١٥١هـ يعتبر من أولى مصادر السيرة النبوية ، وكل من كتب في السيرة بعده اعتمد عليه ، الاسم الكامل لهذا الكتاب هو "كتاب السير والمبتدا والمغازى" و تزيد في قيمة الكتاب مكانة محمد بن اسحاق الذى كان تلميذا لمحمد بن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٤هـ ، وهو أول بدأ بتدوين الحديث بأمر من عمر بن عبد العزيز.فكان كل هَمّ الدكتور العثور على النسخ الخطية لهذا الكتاب ، فوجد النسخة الخطية الأولى في مكتبة دمشق التى كتبت في سنة ٤٥٤هـ ثم وجد النسخة الخطية الثانية بمكتبة جامعة القرويين بفأس التى كتبت في سنة ٤٥٦هـ، وقارن بين المخطوطتين، وقدم في صورة الكتاب للعلماء والباحثين الذين كانوا مشتاقين الى رؤيته منذ زمن بعيد حتى ظن بعضهم أن نسخ هذا الكتاب الخطية قد ضاعت مع مرور الزمن من المكتبات ففرح الجميع بظهور الكتاب وشكروا الدكتور على تحقيقه. كتب الدكتور المحاكمة في آخر الكتاب تحدث فيها عن كتابة التاريخ والسيرة ومصادرها الأولى لدى المسلمين ، وكيف حافظ أسلافهم على هذا التراث خلال القرون العديدة التى مضت وحتى البحوث الجديدة تؤيد صدق الأولين ولم يحدث فيه أى تغيير.

طبع الكتاب من قبلَ جامعة الرباط في سلسلة المطبوعات لكلية الآداب في مستهل القرن الخامس عشر الهجرى وشكرفيه الاستاذ محمد طاهر الفارسي وزير

الشئون الدينية للدولة المغربية الدكتور على جهوده لإحياء التراث الإسلامي الأصيل و ترجم إلى اللغة الأردية المحامى نور الهٰى العدد الخاص بالسيرة بمجلة النقوش الصادرة من لاهور في سنة ١٩٥٨م. (٥١)

١٢. إقامة الرسول الدولة ونجاحه فيها

كتب الدكتور هذا الكتاب المختصر باللغة الانجليزية وتناول فيه الموضوعات الهامة مثل التصور القرآنى للدولة، نظام الضرائب في عهد الرسول والميزانية السنوية ، و تعامله ﷺ مع غير المسلمين وغير ذلك. وتدل هذه الموضوعات على ما بذل الرسول ﷺ من جهد لإقامة الدولة القويّة. طبع الكتاب في حيدر آباد بعد مراجعة الدكتور للمرة الثانية في سنة ١٩٨٦م و تم نشره من اسلام آباد في سنة ١٩٨٨م. (٥٢)

١٣. ست رسائل لرسول الإسلام السياسية والدعوية مع صور النسخ الخطية:

نشر الدكتور في هذا الكتاب ست رسائل رسول الله ﷺ إلى كل من :

① مقوقس ملك مصر والإسكندرية.

② النجاشي ملك حبشة.

③ قيصر ملك الروم هرقل.

④ كسرى فارس وهو برويز بن هرمز بن انو شيروان.

⑤ والمنذر بن ساوي.

نشر الدكتور هذه الرسائل بعد التحقيق باللغة الفرنسية مع صور النسخ الخطية. طبع الكتاب في فرنسا ١٩٨٦م

١٤- محاضرات حول السيرة التى ألقاها فى الجامعة العثمانية

هذه رسالة مختصرة تحتوى على ٧٢ صفحة تشمل على المحاضرات التى ألقاها الدكتور خلال تدريسه في الجامعة العثمانية- رتبها محمد عبد الحى أحد تلاميذ الدكتور بعد المقابلة عند تلميذين للدكتور وهما الدكتور رشيد الحسن والدكتور محمد تاج الدين- هكذا طبعت هذه المحاضرات بعد المقابلة والتدوين في المجلة الأسبوعية "الهدى" التى كان تصدر من حيدر آباد الدكن ثم نشرها الدكتور يوسف الدين رئيس الأسبق لقسم الثقافة الإسلامية بالجامعة العثمانية مع الهوامش من حيدر آباد الدكن في ١٩٨٧م- و هذه هي عناوين هذه المحاضرات :

① فائدة قراء ة السيرة النبوية-

② حالة الدول المجاورة للعرب وقت بدء الإسلام-

③ حالة مكة والمدينة وقت بدء الإسلام-

④ سيرة الرسول ﷺ قبل النبوة-

⑤ الأحدات الهامة من الهجرة إلى الوفاة-

وكل هذه المحاضرات أدمجها الدكتور في كتبه المختلفة مع إضافات خلال كتاباته عن السيرة- (٥٣)

الهوامش

١- ومن نسب إليها ، وإنما وجدت كلمة "نايتى" وربما تغيرت هذه الكلمة إلى نوائطى مع تغيير الزمن في شبه القارة الهندية.

٢- ينظر السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، لب اللباب فى تحرير الأنساب ، ص : ٢٥٩، بغداد ، المكتبة المثنى ، بدون تاريخ.

٣- الحموى/ياقوت بن عبد الله أبو عبد الله ، معجم البلدان ، ج : ٥ ، ص : ٢٥٤، بيروت وارصاد ، صبعة، ١٣٩٧ھ / ١٩٧٧م.

١- سورة النحل : ١٦/٤٢.

٢- سورة النساء : ٤/٦٥.

٣- محمد حميد اللّه ، الدكتور ، صحيفة بمام بن منبه ، ص ٩، كراتشى ، رشيد الله يعقوب. الطبعة الثانية: ١٩٩٨م.

٤- محمد حميد الله الدكتور . تذكره قانون ، ص : ٣٥ ، حيدر آباد ، الدكن ، طبعة ١٩٤٤م

٥- لوأجد فى أنساب العرب كلمة .

٦- صحيفه بمام بن منبه ، ص : ٩.

٧- المجلة العثمانية الفصلية، كراتشى العدد ابريل. يونيو ١٩٩٧م ص ٢٧ مقال "ايك عالم ايك محقق"، وايضاً ص:٤٥ ، مقال "جلا وطن".

٨- المصدر السابق ، ص : ٢٤.

٩- مجلة الدعوة، اسلام آباد ، العدد مارس ٢٠٠٣، ص : ٢٨، ٢٩ مقال " ڈاكٹر حميد الله بيسويں صدى كے ممتاز ترين محقق".

١٠- المجلة العثمانية الفصلية، كراتشى، عدد ابريل ، يونيو ١٩٩٧م ص : ٤٦ ، مقال "جلاوطن".

١١- المصدر السابق ، ص : ٦٧، مقال "د.حميد الله خود جلا وطنى كى زندگى گزارنے والے ايك محقق".

١٢- المصدر السابق ، ص : ٦٨.

١٣۔ المجلة العثمانية الفصلية ، كراتشى ، العدد ابريل/يونيو ١٩٩٧م ص : ٢٥ ، ''ايك عالم ايك محقق''۔

مجلة الدعوة الأسوعية اسلام آباد، العدد مارس ٢٠٠٣، ص :٥٨، مقال '' ڈاكٹر محمد حميد الله علمى روايات كے آمين ''۔

١٤۔ المجلة العثمانية الفصلية ، كراتشى العدد ، ابريل ، يونيو ١٩٩٧م ، ص :٢٤، مقال '' ايك عالم ايك محقق''۔

١٥۔ المصدر السابق ؛ ص :٢٨۔

١٦۔ أبو الآفاق، سيد ابو الاعلى المودودى ، سوانح افكار ؛ تحريك ، ص : ٤٣٠، لاهور۔ مبين اسلامك پبلشرز ، الطبعة الأولى ، يونيو ١٩٧١م ۔

١٧۔ محمد حميد الله ، الدكتور ، خطبات بهاول پور ، اسلام آباد، ادارة تحقيقات اسلامى ، طبعة: ١٩٩٥م ۔

١٨۔ مجلة التكبير الاسبوعية ، كراتشى، العدد ٢١ مايو ١٩٩٢، ص : ٢٦، ٢٧۔

١٩۔ المجلة العثمانية الفصلية كراتشى العدد ، ابريل۔ يونيو ١٩٩٧م ، ص : ٦٧۔

مقال محمد حميد اللّٰه خود جلا وطن كى زندگى گزارنے والے ايك عالم ''مجلة الدعوة الأسبوعية اسلام آباد العدد مارس ٢٠٠٣، ص : ٤٥ ، مقال ''د۔ محمد حميد اللّٰه ايك بے مثال محقق''۔

٢٠۔ المجلة العثمانية الفصلية الكراتشى ، العدد، ابريل ، يونيو ١٩٩٧، ص : ٤٣، مقال ''د۔محمد حميد اللّٰه نقوش و تأثرات :مجلة الدعوة الاسبوعية اسلام ، مارس ٢٠٠٣، ص: ٤٩، ٥٠ ۔ مقال ''د۔ محمد حميد اللّٰه ايك مثال محقق''۔

٢١۔ محمد حميد اللّٰه الدكتور ، خطبات بهاولپور ، ص : ٢٤۔

٢٢۔ المصدر السابق ، ص : ٢٠١۔

٢٣۔ المصدر السابق ، ص :٣٤۔

٢٤۔ المجلة العثمانية الفصلية كراتشى العدد ابريل يونيو ١٩٩٧م ، ص : ٢٤ ۔ مقال ''ايك عالم ايك محقق''۔

٢٥۔ مجلة الدعوة الأسبوعية۔ اسلام آباد۔ العدد ٤٥۔

٢٦۔ المصدر السابق ، ص : ٧٠، مقال " ڈاکٹر محمد حمید اللّٰہ علمی روایات کے امین" ۔
٢٧۔ المجلة العثمانية الفصلية كراتشى ، العدد ، ابريل يونيو ١٩٩٧، ص :٤٣ ، مقال "ڈاکٹر محمد حمید اللّٰہ خود جلاوطنی کی زندگی گزارنے والے ایک عالم" مجلة الدعوة الأسبوعية اسلام آباد العدد مارس ٢٠٠٣، ص ٨٠ ، مقال "د۔محمد حمید اللّٰہ ۔
٢٨۔ مجلة العثمانية الفصلية كراتشى ، العدد ابريل يونيو ١٩٩٧م ، ص ٢٤ ، مقال "ایک عالم ایک محقق"۔
٢٩۔ مجلة الكتبير الأسبوعية، كراتشى ، العدد۔ ٢١ ۔ مايو ١٩٩٢ ، ص : ٢٦۔٢٧۔
٣٠۔ مجلة الدعوة الاسبوعية اسلام آباد العدد بارس ٢٠٠٣، ص : ٤٨ ، مقال "د۔محمد حمید اللّٰہ ایک بے مثال محقق"۔
٣١۔ محمد حمید اللّٰہ ، الدكتور ، صحيفة همام بن منبه ، ص : ٤٣۔
٣٢۔ محمد حمید اللّٰہ "د۔ صحيفة همام بن منبه ، ص : ٢٣۔
٣٣۔ المصدر السابق ، ص : ٤٢۔
٣٤۔ المصدر السابق، ص : ٨٦۔٨٧۔
٣٥۔ المصدر السابق ، ص ٤٠۔
٣٦۔ المصدر السابق ، ص : ٤٠۔
٣٧۔ المصدر السابق ، ص : ١٩٢۔
٣٨۔ السبكى، تاج الدين عبد الوهاب ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٦ ، ص : ٧ ، ترجمة رقم : ٥٦٥ ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية طبقة ١٩٦٩م ، بتحقيق عبد الفتاح محمد الحلو و محمد الطفاحى۔
٣٩۔ القزوينى ، احمد بن اسماعيل أبو الخير ، كتاب السرد والفرد ، ص : ٦ اسلام آباد، المجلس الوطنى للهجرة، الطبعة الأولى ٤١٠ هـ/ ١٩٩٠م بتحقيق الدكتور محمد حمید اللّٰہ۔
٤٠۔ القزوينى ،احمد بن اسماعيل أبو الخير كتاب السرد و الفرد ، ص :٥۔
٤١۔ سورة البقرة : ٢٨٢/٢۔
٤٢۔ محمد حمید اللّٰہ د مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة۔ ص،ب للمقدمة، القاهر لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية ١٣٦٧هـ/ ١٩٥٦م ۔

٤٣۔ المجلة العثمانية الفصلية ، كراتشي ، العدد ابريل يونيو ١٩٩٧م ، ص : ٨٩ "مقال ڈاكٹر محمدحميد الله كى اردو كتابوں كا تعارف "۔

٤٤۔ المصدر السابق ، ص: ٩٠۔

٤٥۔ المصدر السابق ، ص:٩٨۔

٤٦۔ محمد حميد الله ، الدكتور ، عهد نبوى ميں نظام حكمرانى ، كراتشي اكاديميه السند الأردية۔ الطبعة الثالثة ١٩٨١م ۔

٤٧۔ محمد حميد الله ، الدكتور، عهد نبوى كے ميدان جنگ ، راولبندى مركز علمى طبعة١٩٨١م ۔

٤٨۔ محمد حميد الله ، الدكتور ، رسول اكرم ﷺ كى سياسى زندگى ، كراتشى ، دارالإشاعت ، طبعة ١٩٨٠م ۔

٤٩۔ Dr. Muhammad Hamidullh, Muhammad Rasullah, Karachi,1979

٥٠۔ محمد حميد الله، الدكتور ، خطبات بهاولبور ، ص : ١٦۔

٥١۔ مجلة النقوش ، لاهور العدد : ١٣٠، الخاص بالسيرة۔

٥٢۔ Dr. Muhammad Hamidullah The Prophet's Establishing and his Succassion, Islamabad,1980.

٥٣۔ المجلة العثمانية الفصلية ، كراتشي العدد ، ابريل ، يونيو ١٩٩٧م ، ص : ٩٧، مقال "د۔ محمد حميد الله كى اردو كتابوں كا تعارف"۔

تدوين القرآن الكريم وتراجمه

الأستاذ الدكتور محمد حميد الله

الكتب المنزلة قبل القرآن

روى ابن العربي عن رسول الله ﷺ أن الله خلق مائة ألف آدم. و نحن من أولادهم.(١) وروى أحمد بن حنبل أن النبي ﷺ قال أن الله أرسل منذ آدم عليه السلام مائة وأربعا وعشرين ألف من الأنبياء من بينهم ثلاث مائة وخمسة عشر صاحب رسالة. (٢)

ومن هذه الكتب المنزلة ما عزى الى آدم عليه السلام ، والى ابنه شيث عليه السلام ، ولم يبق لنا منهما عين ولا أثر. ومنها ما عزى الى ادريس (أنوخ) عليه السلام . في الجيل السابع من آدم كما أكد التوراة. وكان اقتبس منه رسالة يهودا في العهد الجديد بشارة آخر الأنبياء ، ووجدوا حديثاً مخطوطة حبشية لكتاب أنوخ فيما وجدوا في منارة البحر الميت ، في الأردن. وفيها هذه البشارة وأيضا أشياء ما لا يمكن أن تكون منها من الحوادث التى وقعت بعد زمن أنوخ عليه السلام. وفي العراق توجد الى يومنا هذا طائفة من الصابئين يدعون أنهم لا يزالون يتبعون دين نوح عليه السلام ، وأنه كان عندهم في قديم الزمان كتاب نوح عليه السلام وضاع ولم يبق إلاعدة أسطر من الأوامر الأخلاقية.

وذكر القرآن الكريم بالصراحة صحف إبراهيم عليه السلام (٣) واقتبس منها آيات ، وهذه الصحف معروفة عند اليهود والنصارى أيضا ولكن بدون معلومات عن

محتواها. أما صحف موسى عليه السلام فقد ذكرها القرآن مرارا عديدة، وهى متد اولة بين أيدينا ونجدها كخمس رسائل في أول العهد القديم. ومن تاريخها أن السفر الخامس (كتاب التثنية) لم يعرف في أول الأمر ، ولما مضى ستمائة سنة على موسى عليه السلام ، جاؤا الى أحد ملوكهم بمخطوطة مجهولة وقالوا وجدناها في مغارة. فسلمها الملك الى نبية لهم. وعند اليهود يجوز لامرأة أن تكون نبية. فقالت : هى لموسى عليه السلام . وبالعموم فيما يتعلق بكتب موسى عليه السلام نسميها " التوارة" فكانت عندهم إلى زمن بخت نصر ملك بابل الذي حارب فلسطين واحتل بيت المقدس وجمع جميع مخطوطات التوارة وحرقها عن آخرها. فلما مضى عليه مائة سنة. كان عندهم نبى اسمه عزرا (عزير؟) عليه السلام ، فأكد أنه يحفظ التوراة ، فأملاها لهم. ثم بعد ذلك قاد أنطيو خوس جيوش الروم واحتل بيت المقدس وأتلف جميع مخطوطات التوراة ، وبعد زمن جاء ت الروم تحت قيادة طيطوس وأتلفوا نسخ التوراة عن جديد. والذي بين أيدينا هو الإعادة الثالثة ، ولكن كيف وعلى أى أساس؟ لا نعرفه ومع هذا نجد فيها بشارة النبي المنتظر. ومجرى زبور داؤد عليه السلام مثل ماجرى للتوراة.

والمجوس أيضا يدعون كتابا ملهما من الله (على زردشت) واسمه أويستا. وبعد زمن تغيرت لغة البلاد لهجوم الأجانب واحتلالهم، ولذلك ترجموا خلاصة الأصل إلى اللغات الجديدة. ولكن الذي يوجد الآن ليس منه الا العشر أوأقل منه. وفيه أيضا بشارة آخر الأنبياء "رحمة للعالمين" وعند البراهمانيين من الهند كتب دينية يدعون أنها منزلة من اللّه (وفيها أيضا بشارات لآخر الأنبياء) مثل ويدا، وبرانا ، و گيتا وابانيشدا ، وقال البيرونى أنها تداولت على الألسن فحسب ولم تكتب إلا قبيل سفره الى الهند.

إن عيسى عليه السلام جاء بالانجيل وبَلغّه شفاهيا ، ولم يكتبه ولم يمله، كأنه

خاف أن يصيبه ما أصاب التوراة؛ فأراد أن يبقى في قلوب المؤمنين به ، وبعد زمن طويل بدأ حواريون ومن تبعهم أن يدونوا ما حفظوا من سيرة عيسى عليه السلام ، وسمى كل واحد من هؤلا المؤلفين ذكرياته باسم الانجيل. ويوجد أكثر من سبعين كتابا، اسم كل واحد منها الانجيل. والكنيسة انتخبت أربعة منها ولكن لا نعرف متى ؟ وكيف ؟ وقالت وإن الباقى منها غير موثوق بها. وفي الأنا جيل المتداولة أيضا بشارات عيسى عليه السلام عن النبى الأخير.

هذه خلاصة ما حدث لكتب أنبياء السلف عليهم الصلاة والسلام.

القرآن وتدوينه

تولد نبى الاسلام سيدنا محمد ﷺ بمكة في سنة ٥٦٩ للميلاد (وأخطأ من زعم سنة ٥٧٠ أو ٥٧١) . كان التقويم بمكة على سنة شمسية ولم يلغه النبي عليه السلام إلا في حجة الوداع، ثلاثة أشهر قبل وفاته ، وبما أنه توفى سنة ٦٢٣ للميلاد وكان سنه ٦٣ سنة، فلا بد من أن كانت ولادته في ٥٦٩ للميلاد ، على كل حال لما بلغ أربعين سنة أوحى الله إليه في شهر رمضان (أى ديسمبر ٦٠٩) ، وكان أميّا لا يقرأ ولا يكتب. ومن لطيف حكمة الله أن الوحى الأول (سورة ٩٦، آيات ١-٥) الى النبي الأمىّ كان أمرا بتعلم القراءة وثناء على القلم والمعرفة لما لم يعلم قبل. ثم قضى الله في حكمته البالغة فترة ثلاث سنوات في الوحى كى يستعد النبي الأمى لأداء واجبات النبوة ثم أنه تكرر نزول الوحي ودام لعشرين سنة أخرى إلى وفاته في ربيع الأول سنة ١١ للهجرة ٦٣٢ م وأعتنى النبي عليه السلام بجمع ما كان ينزل عليه من وقت الى آخر على الطريق الآتى: وذكر ابن اسحاق (٤) : كان إذا نزل القرآن على رسول الله ﷺ قرأه على الرجال ثم على النساء. ثم يدعو كاتبا فيملى عليه. روى البخارى (٥): "لما نزلت ﴿لا يستوى القاعدون﴾ الآية قال النبي ﷺ : ادع لى زيدا ، وليجئى باللوح والدوات والكتف ثم قال:

أكتب ..... - روى الهيثمي (٦) عن زيد بن ثابت قال : كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ - وكان إذا نزل عليه أخذته برحاء شديدة وعرق عرقا شديدا مثل الجمان، ثم سرى عنه فكنت أدخل بقطعة المسب أو كسرة فأكتب وهو يملي عليّ - فما أفرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القرآن حتى أقول لا أمشي على رجلي أبدا - فاذا فرغت قال : اقرأه - فأقرأه ، فإن كان فيه سقط أقامه ثم أخرج به إلى الناس رواه الطبراني باسنادَين رجال أحدهما ثقات، فكان من شدة احتياطه ﷺ أنه كان يملي ثم يطلب أن يقرأ ماكتب ليصحح لو أخطأ - ولا بأس بأن نلفت نظر القارى الى ما قال الهيثمي أن هذا الحديث بعينه مروى باسنادين رجال أحدهما ثقات، أى حتى غير الثقات لا يكذبون دائما - (وهذا في المعجم الأوسط للطبراني)

إن ما نقلناه عن زيد بن ثابت يتعلق بما بعد الهجرة - ولا بد من أن يكون كذلك في مكة قبل الهجرة أيضا؛ لأن كتابة القرآن مذكورة في السورة المكية من القرآن مثلاً :

﴿ وَ قَالُوْا اَسَاطِيْرُ اْلَاَوّلِيْنَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلٰى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيْلًا﴾

(الفرقان ٣٥-٥)

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِيْ كِتَاب مَكْنُوْن لَا يَمَسُّهُ إِلَّا اْلُمطَهَّرُوْن﴾

(الواقعة: ٥٢-٧٧-٣٢)

﴿ رَسُوْلٌ مِنَ اللّٰهِ يَتلُوْ صُحُفًا مُطَّهَرةً فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾

(البينة ٩٨-٣٢)

وفي الحديث أيضا ذكر كتابة القرآن قبل الهجرة - مثلاً :

① أسلم سيدنا عمر رضى الله عنه في السنة للبعثة بعدما قرأ سورة طه (٧)

ومعلوم أن سورة طه هي سورة ٢٠ تدوينا و ٤٥ نزولا ، ونقل السهيلى (٨)

عن يونس أن الصحيفة (التى قرأهاعمر) كان فيها مع سورة طه ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (وهي ٨١ تدوينا و ٧ نزولا)

② ذكر السمهودى (٩): عن ابن زبالة أن رافع بن مالك الزرقى (الانصاري) لما لقى رسول اللّه ﷺ وسلم بالعقبة أعطاه رسول اللّه ﷺ ما أنزل عليه في العشر سنين التى خلت.

③ قال : وقدم به رافع المدينة فجمع قومه فقرأه في مسجده..... وعن مروان بن عثمان بن المعلى قال : مسجد قرئ فيه القرآن، مسجد بنى زريق

نزل القرآن نجما ٢٣ سنة. ولم يدونه النبى عليه السلام آليا حسب ترتيب النزول بل حسبما ألهمه اللّه فى الترتيب الذى بين أيدينا. ولم تنزل السور كاملة دفعة واحدة بل في أثناء زمن طويل أو قصير. فتوجد في سور مكية آيات نزلت بعد الهجرة ، وسور مدينة أدخلت فيها بعض ما نزل قبل الهجرة. فمن البديهى أن النبي عليه السلام كما نزل عليه وحى صرح لكاتبه أين محل الوحى الجديد في مجموعة القرآن الموجود في ذلك الحين ، كما رواه أحمد وأصحاب السنن الثلاثة وابن حبان والحاكم : كان رسول اللّه ﷺ ينزل عليه السور ذوات العدد. فكان إذا نزل عليه الشئ دعا من كان يكتب ، يقول : ضعوا هذه الآيات في السورة التى يذكر فيه كذا وكذا (١٠) قال ذوات العدد أى نزل أجزاء سور متعددة في نفس الزمن فكان الكتاب يكتبونها موقتاً على قطعات لخاف أو عظام أو أوراق ، وعند تمام نزول سورة كاملة كان الكتاب يبيضونها في حضور النبي عليه السلام. وهذا مانراه في رواية الحاكم في المستدرك والسيوطى في الاتقان : عن زيد بن ثابت رضى اللّه عنه قال : " كنا عند رسول اللّه ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع" ولما خرج به الكاتب الى المسلمين كانوا يأخذون النقول لأنفسهم.

وأمر النبى عليه السلام أيضا تلقى القرآن من أستاذ مستند أى رأسا من النبي في أول الأمر، ثم من الذين أذن لهم النبي عليه السلام تعليم الناس القرآن، والحقيقة أن القراءة من نسخة مكتوبة لا تكفى لأنه يجوز أن تكون فيها أخطاء من سهو الكاتب ، أو اشتباه في الخط العربى القديم الذى لم يعرف النقاط ولا علامات التشكيل للحروف. والقراءة من أجيال الأساتذة المستندين دامت الى يومنا هذا بين المسلمين. وهاكم كالمثال نسخة شهادتى من شيخ القراء الشيخ حسن الشاعر من المدينة المنورة ، وهى أفخر الشهادات العلمية عندى التى سعدت بحصولها في عمرى:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أودع جواهرالمعانى الضيائية وقالب زواهر المبانى من الحروف الهجائية وأنزل القراءت بلسان عربى مبين بواسطة الروح الأمين على رسوله خاتم النبيين أفصح من نطق بالضاد من بين العباد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه (بعد) فهذه إجارة صريحة من الفقير إلى رحمة ربه القدير حسن بن ابراهيم الشهير بالشاعر المقرى والمدرس بالحرم الشريف النبوى إلى ولده الشاب الرشيد الكامل محمد حميد الله بن ابى محمد خليل القاطن حيدر آباد دكن ، فأنه قرأ على ختمة كاملة من أولها إلى آخرها بالتحرير والتدقيق وقد استجازنى فأجزته بأن يقرأ بكلها رواية بشروطها المعتبرة وهى تقوى الله تعالىٰ في السر والعلانية ، ولى منه الدعوات الصالحات في الخلوات و الجلوات كما أقرانى واشترط على شيخى وأستاذى وحيد دهره وفريد عصره البصير بقلبه ، تغمده الله برحمته الشيخ حسين بن محمد بيومى وهو عن الشيخ محمد سابق وهو عن الشيخ خليل المطوبسى وهو عن الشيخ محمد سابق وهو عن الشيخ خليل المطوبسى وهو عن الشيخ على الحلو بمكة المكرمة وهو عن الشيخ أحمد ابو سلمونة وهو عن الشيخ أسافى وهو عن الشيخ أحمد الميهى عن

أبيه الشيخ على الميهى عن أبيه الشيخ على الميهى (وح إلينا) وهو عن سيدى محمد بن محمد الجزرى عن سيدى عبد الرحمن القسطنطنى عن سيدى عبد الرحمن ألازميرى عن سيدى سلطان المزاجحي عن سيدى أحمد المسيرى عن أبى جعفر الشهير بأوليا افندى (وح الينا) فأما رواية حفص فحدثنا بها أبو الحسن طاهر بن غلبوت المقرى قال حدثنا بها ابو الحسن على بن محمد بن صالح الهاشمى المقرى بالبصرة قال حدثنا بها أبو العباس أحمد بن سهل الأشنانى على أبى محمد عبيد الصباح على حفص على عاصم وهو عاصم بن إبى النجودا وكنيتهٔ ابو بكر ، تابعى قرأ على ابى عبد الله بن حبيب السلمى وزر بن حبيب الأسدى على عثمان وعلى وابن مسعود وأبى بن كعب وزيد بن ثابت على النبي ﷺ عن جبريئل عن اللوح المحفوظ عن رب العزة جل جلاله وعم نواله.

- راجى عفو بّه القادر
- حسن بن ابراهيم الشاعر
- ختم (في ١٢ ربيع الاول ١٣٦٦)

وزد على هذا ، أن النبي ﷺ أمر المسلمين أن يحفظوا القرآن ويكرروا تلاوته مرّات عديدة كل يوم في صلواتهم وفي أوقات فراغهم آناء الليل وأطراف النهار. ومع أنه لم يجب حفظ جميع القرآن على كل واحد من المسلمين ، ولكن نجد عددا لا بأس به من الصحابة حفظوا جميع القرآن في حياة النبي عليه السلام ، ومن بينهم امرأة من الأنصار أم ورقة، من قدماء المؤمنات ، وكانت أرادت أن تشترك في جيش المسلمين في غزوة بدر وكان سماها النبى عليه السلام إمام المسجد وكانت تؤم الرجال والنساء من أهلها، ولها مؤذن. (١١)

الإعلان بين المسلمين والمسلمات عند كل وحي جديد وتدوينه كتابة ، وأمر التعليم عند أستاذ مستند ، وحفظ القرآن و تكرار تلاوة طول العمر، هذا ما كانت التدابير التي اتخذها النبي ﷺ في مكة قبل الهجرة ، رغم أذى المشركين، ولما هاجر الى المدينة ووجد سهولة أكثر لتبليغ الدين ، اتخذ تدبيرا جديدا مهما. فقد روى البخاري (١٢) عن فاطمة عليها السلام أسرالى النبي ﷺ أن جبريل يعارضنى بالقرآن كل سنة، أنه عرضنى العام مرتين ، وما أراه إلا حضور أجلى. وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : كان النبى ﷺ أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون في شهر رمضان لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ، يعرض على رسول الله ﷺ القرآن..... وعن أبى هريرة قال : كان يعرض جبريل على النبى ﷺ كل عام مرة ، فعرض عليه مرتين في العام الذى قبض. وكان يعتكف كل عام عشرا ، فاعتكف عشرين في العام الذي قبض، وقال ابن كثير (١٣) المراد من معارضته له بالقرآن كل سنة مقابلته على ما أوحاه إليه عن الله تعال ليبقى ما بقى ويذهب مانسخ، توكيدا واستثباتا و حفظاً ، ولهذا عرضه في السنة الأخيرة من عمره عليه السلام على جبريئل مرتين، وعرضه به جبريئل كذلك ، ولهذا فهم عليه السلام اقتراب أجله ، وعثمان رضى الله عنه جمع المصحف على الامام علي رضـ العرضة الأخيرة وكانت هذه العرضات معروفة ، فكان لا بد من أن يجى الصحابة حينئذ بنسخهم من القرآن ويقارنون على تلاوة النبى عليه السلام ويصححون نسخهم ، وذكر العرضة الأخيرة كثير ، وكان يحضرها بين أخرين سيدنا زيد بن ثابت كاتب الوحى أيضا.

ويظهر أن النبى ﷺ كان أراد في أواخر عمره أن يستنسخ نسخة كاملة من القرآن كما نرى في مانقله السيوطى (١٤) قال الحارث المحاسبى فى كتاب فهم السنن: كتابة القرآن ليست بمحدثة فانه ﷺ كان يأمر بكتابته ولكنه كان مفرقاً فى

الرقاع والأكتاف والخشب- فإنما أمر الصديقؓ - بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعا ، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله ﷺ فيها القرآن منتشرة فجمعها جامع وربط بخيط حتى لا يضيع منها شئ-

كان القرآن على هذه الحالة لما توفى النبى عليه السلام - ولما تولى أبو بكر الخلافة لم يشتغل به في أول الأمر، ولكن حروب الردة أكرهته عليه فقد استشهد فيها كثير من القراء وحفاظ القرآن- وأول من تنبه بخطورة الحال هو سيدنا عمر فذهب إلى الخليفة أبى بكر الصديق وقال : إن أصحاب الرسول يحبون الموت في سبيل الله كما يحب آخرون الحياة ولن يزالوا في المستقبل ، فلو أمرت بتبييضه في صورة كتاب- فقد روى البخاري (١٥) أن زيد بن ثابت قال : أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة (يقاتلون مسليمة الكذاب) ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، قال أبى بكر رضى الله عنه : ان عمر أتانى فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القران ، وأنى أخشى أن يستحر القتل بالقرآن بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن ، قلت لعمر: كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدري ورأيت في ذلك الذى رأى عمر قال زيد: قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه- فو الله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن - قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال : هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما- فتتبعت القرآن أجمعه من الخشب ، واللخاف، وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى ، لم أجدها مع أحد غيره-

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ.....﴾

حتى خاتمة برأة. فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عمر حياته عند حفصة رضى الله عنهم. (١٦)

روى السيوطى (١٧) عن الحارث المحاسبى: "أوراق و جدت فى بيت رسول الله ﷺ فيها القرآن منتشرة فجمعها بجامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شئ " كان النبى عليه السلام أراد في أواخر عمره تدوين نسخة كاملة للقرآن ، إما من تلقاء نفسه أو على طلب زوجته العالمة الفاضلة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ويظهر أن تلك النسخة لم تكن كاملة وإلا لم يشتغل أبو بكر الصديق بجمع القرآن ، ثم نادى أبو بكر في المدينة المنورة : من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئا من القرآن فليأت به ، (السيوطى) وأخرج ابن أبى داؤد أيضا ..... أن أبا بكر قال لعمر وزيد : اقعدا على باب المسجد ، فمن جاء كم بشاهدين على شيئ من كتاب الله فاكتباه .....وقال السخاوى في جمال القراء : المراد انهما يشهدان على أن ذلك كمكتوب كتب بين يدى رسول الله ﷺ ..... وقال أبو شامة : وكان غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدى رسول الله ﷺ لا من مجرد الحفظ ، قلت أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك مما عرض على النبى ﷺ عام وفاته (السيوطى كذلك)

وفي رواية الطبرى عن زيد بن ثابت قال: لما كملت كتابة القرآن في المصحف قرأته . فوجدته تفقد فيه آية ٢٣ من سورة الأحزاب (٣٣-٢٣)

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ رِجَالُ صَدَقُوْا مَا عَاهَدُوا اللّٰهَ عَلَيْه فَمِنْهُمْ مَنْ قَضٰى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوْا تَبْدِيْلًا﴾

فبحثت عنها عند المهاجرين بيتا بيتا فلم أجدها عندهم ، ثم بحثت كذلك عند الأنصار فلم أجدها الا عند خزيمة بن ثابت الأنصارى ، فكتبتها ثم قرأت النسخة مرة

أخرى فوجدت تفقد فيها آيتان من آخر سورة التوبة (٩-١٢٨-١٢٩). ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ الى : ﴿رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ، فبحثت عند المهاجرين فلم أجدهما عندهم ، ثم بحثت عند الانصار ، فلم أجد عندهم الا عند خزيمة أخيرا ، فأدختلهما ثم قرأت ثالثا من أوله الى آخره ، فلما اطمأن خاطرى أنه جامع مانع لا ينقص شئ ، قدمت نسخة الصحف الى أبى بكر فأثنى على فكانت عنده.

لا أبحث كثيرا عن إدخال الآيات على شهادة واحدة، فالطبرى يصرح عند زيد بن ثابت خزيمة و خزيمة آخر " ، بينما البخارى (٦٦-٢)يقول لآيتى التوبة أبي خزيمة ولآية الاحزاب الخزيمة بن ثابت. وذكر عن خزيمة بن ثابت أنه ذو الشهادتين ؛ وكان رسول اللّه ﷺ جعل شهادته كشهادتين (وله قصة) ولم يذكر سبب قبول شهادة أبى خزيمة رضى اللّه عنهم لعلهم وجدوا شهادة واحدة مكتبوبة وشهادة أو شهادات أخرى من صدور الحفاظ الذين كانوا أميين ولكن حفظوا عن رسول اللّه ﷺ رأسا.ذكر الرواة أيضا ردّ الشهادة الواحدة (في هذا الصدد)، فسيدنا عمر رضى اللّه عنه قال: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما نكالا من اللّه ..... آية ، وأن النبى عليه السلام كان قال : "هو من كتاب اللّه " لم تكن هناك شهادة أخرى فردوه ، كأنه سهو من سيدنا عمر، فالمراد بكتاب اللّه يجوز أن يكون التوراة (وهذا الحكم موجود في التوراة المتداولة الآن أيضا) وأن الكتاب معناه أمر اللّه (كما في الآية :

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَت عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتا﴾

وذكر أن فى قرآن سيدنا ابن مسعود التشهد أيضا، ولم يكن فيه سورة الفلق و سورة الناس. وهو أيضا الاستنباط ، لا النص من صاحب الشريعة. فروى ابن مسعود رضى اللّه عنه أن النبى عليه السلام كان يعلم التشهد كما كان يعلم السور من القرآن أو ظن أن كل ما يقرأ في الصلاة فهو قرآن.

أمـامـا يتـعـلـق بـالـمعوذتين ، فمروى أن النبى عليه السلام كان عادة يستعملهما كـالرقية يقرأهما وينفث في كفيه ويسمع بهما رأسه ووجهه ، فكان سيدنا ابن مسعود لا يكتبهما في قرآنه (راجع تفسير ابن كثير بين آخرين) وهو أيضا من سؤ التفاهم ولم يبن عـلـى صـراحة من النبى عليه السلام، بينما روى آخرون من الصحابة أنهما من القرآن قرأهما رسول الله في الصلوات.

فـكـان الأمـر عـلـى هـذا حتـى سـنة خمسة وعشرين أو ستة وعشرين للهجرة من خـلافة سيـدنـا عثـمـان رضـى الـلّـه عـنـه. (فدخلت في تلك السنة جنود المسلمين في الأنـدلـس من جهة وفيما وراء النهر من حدود الصين من جهة أخرى ، كما ذكر الطبرى والبلاذرى بين آخرين) فروى البخاري (١٨) ان حـذيفة بن اليمان قدم على عثمان و كان يـغـازى أهـل الشام في فتح أرمينية و آذربيجان مـع أهل العراق. فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة و قال القسطلاني (٢٠) في شرح هذا الحديث أن هذا وقع قرب ارض الروم (أرض الـروم الـحـالية في تركيا). فقال حذيفة لعثمان ياأمير المؤمنين أدرك هذه الأئمة قبـل أن يـختـلـفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسلت بها الى عثمان. فأمر زيـد بـن ثابت وعبد الله بن زبير و سعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن بشام فـنسـخـوهـا في المصاحف. وقال عثمان لرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بـن ثابت في شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا المصحف في المصاحف رد عثمان المصحف الى حفصة. فأرسل إلى كل أفق بـصـحف مما نسخوا. وأمر بما سواه من القرآن في كل صحفية أو مصحف أن يحرق (وفي نسخه من صحيح البخاري : "يخرق")

لا نـعـرف كثيرا عـن تـطبيـق أمـر الـحرق أو الخرق في النسخ ماليس في النسخة الـرسمية. لعله يتعلق بنسخة أو نسختين عند المنافقين المحرفين الذين لفقوا أشياء في

نسخهم فأخذتها الشرطة وأتلفتها وإلا فقدبقى الى القرن الرابع للهجرة مواد دَوّن على أساسها ابن أبى داؤد وآخرون كتبا ضخمة في اختلاف القرآن. وهذه الاختلافات تتعلق إما بالتلفظ حسب لهجات القبائل ، أو بالتفسير الذى كتبه بعض الصحابة على نسختهم وفي أولادهم وأحفادهم ، وهم الناس ، فجعلوه آية من القرآن. وهناك اختلاف و تناقض أيضا في الروايات فبعضها تقول في قرآن كذا كان هكذا. وفي رواية عن آخر بعكس ذلك تماما. فاذا تعارضا تساقطا، وبقى المتواتر بدون شبهة. نسخ عثمان رضى اللّه عنه فكتبوا أربع أو سبع لسيدنا عثمان رضى اللّه عنه ، أبقى عنده واحدة وأرسل أخرى الى مختلف مراكز الدولة الاسلامية ، ثم حدثت حوادث في القرون المتاخرة من حريق أو سيل غير ذلك ، ونسب الى سيدنا عثمان ثلاث نسخ في عصرنا هذا واحدة منها كاملة وهى في استانبول (في متحف توب قابى سراى) وجاء وا بها زمن الحرب العالمية الأولى عندما خرجت الانكليز وشريف حسين. ونسخة أخرى في تاشقند، وكان في دمشق. فلما احتلها تيمور لنك أخذها في الغنيمة وجاء بها الى سمرقند عاصمته. ثم بعد قرون لما احتل الروس سمرقند نقلوه الى عاصمتهم بطرسبورغ (لينن كراد حاليا) فكان بها الى سنة ١٩١٩م ولما قتل الشيوعيون ملكهم واحتلوا العاصمة، كان في جيش الروس جنرال مسلم اسمه على أكبر توبجى باشى ، أرسل كتيبة الى قصر الملك فأخذ النسخة وأرسلها في الفور في قاطر السكة الحديدية بكل سرعة إلى تاشقند، كما ذكر لي هو في باريس رحمه اللّه ، وكان من اللاجئين، فلما عرف سلطات الشيوعيين بعد عدة ساعات أرسلوا قاطرا آخر في عقب الأول ولكن لم يتمكنوا. وبعد برهة لما تمكن الشيوعيون من احتلال تركستان عن جديد، خلوا النسخة في تاشقند وقالوا أى فرق إذا كان المال في هذا الجيب أو ذاك الجيب ، مادام كلاهما لى؟ ان حكومة قياصرة الروس كانت قد طبعت نسخة مصورة من هذه النسخة،

خمسين نسخة فحسب ، فالأصل موجود وليس بكامل، ولم يبق الإثلثان والباقي نفد في ممر الدهور، والأستاذ طه الولى الذى رآه مند قريب بقول : ضاع الآن أكثر ، ولم يبق إلا عدة أوراق، والنسخة الثالثة في مكتبة انديا أو فيس لائبريرى في لوندرا ، جاء بها الانكيز في سنة ١٩٥٨م عندما هزموا جيوش سلاطين مغول واحتلوا مكانهم، وهذه النسخة أيضا غير كاملة ، ولم يبق إلا النصف تقريبا، ولكن من حسن الحظ بقى آخره حيث كتب الكاتب : ''كتبه عثمان بن عفان'' (رضى اللّٰه عنه).

لا أجد وقتا اليوم للبحث في صحة الانتساب إلى هذه النسخ الثلاث.

تبويب القرآن

قسم النبى ﷺ القرآن في ١١٤ سورة ، وفي كل سورة بين ثلاث الى ٢٨٦ آية ، ثم قسموا القرآن بعد ذلك في سبعة أجزاء سموها منازل ، لأن النبى عليه السلام أوصى أن يتلوا الناس القرآن بتدبر ، ولا يتلوه فى أقل من أسبوع، فقد ذكر ابن كثير أن النبى عليه السلام قال لعبد اللّٰه بن عمرو بن العاص رضى اللّٰه عنهم : فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك. وذكر أيضاأن ابن مسعود وتميم الدارى رضى اللّٰه عنهما كانا يقرآن جميع القرآن من جمعة إلى جمعة. فكان لا بد من تقسيمه إلى سبعة منازل.إن معنى هذه المصطلحات من آية و سورة ومنزل معنى عميق لطيف، الآية من مادة أوى يأوى أى يذهب إلى الفراش لينام. والسورة من السور وهو الجدار، فكان السورة معناها الحجرة أى الغرفة بينما المنزل هو حيث ينزل المسافر بعد سفر اليوم ويستريح ثم يداوم السفر بالغد. ففيه معنى عميق لطيف :المسافر في الدنيا في سفر طويل يحتاج الى أن ينزل كل يوم في منزله ، ويستريح في حجرة وينام في فراش. والمسافر إلى اللّٰه أيضا يحتاج الى منزل وغرفة و فراش ، أى إلى منزل و سورة وآية ، و سفر لا إلى نهاية .

ويرمز رقم السبعة إلى مالا نهاية له ، ولذلك عدد المنازل في القرآن سبعة. والله أعلم. يقول الله في القرآن :

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُم﴾،ويقول:﴿ وَنَحنُ أَقْرَبُ اِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ اَلْوَرِيْدَ﴾

ولكن لا نراه ومعناه هو تعالى موجود واجب الوجود ، ونحن عميان. ومع ذلك نحب أن نذهب و نشوق الى خالقنا و محبوبنا. إذا كان أحد لا يرى ، ولا يعرف الطريق، والطريق مملوء بالعوائق، فكيف يعمل ؟ إلا مكان الوحيد هو أن يدل المحبوب بالكلام كيف يتقدم وأين يرجع يمينا ويسارا إلى غير ذلك. وهذه هى وظيفة كلام الله الذى هو هدى للمتقين.

صيانة النص القرآني

أصل الاناجيل باليونانية ، والباقى كله مترجم منها الى سائر اللغات. ولذلك مربال علماء النصارى الألمان في أواخر القرن الماضى أن يجمعوا جميع مخطوطات الأناجيل فيقرنوا بعضها مع بعض فجمعوا النسخ الكاملة والناقصة وحتى قطعات، من جميع العالم ثم قارنوا كلمة كلمة. ونشروا نتائج المقارنة فقالوا:

Le material scripturaire se composed' onciaus, de minuscule, de lectionnaries liturgiques. de papyrus, d' ostrace (texts brefs ecrits sur tessons de poterics), de talismans, et enfin des differents versions et des citations d' auterus anciens, qui sont elles-memes a verifier. Cette masse enorme depasse ce don't on dispose pourn importe que texts antique:elle a fourni quelque 200.000 variantes.

La plupart sont des variantes insignifiantes: variations d' orthographes ou lapus calami Deja Westcott et Hort, en donnant de chiffre, constataient que les sept huitiemes du tests etaient assures et que les variantes importantes ne prtient que sur une part infime".

انهم وجدوا فيها..... تقريبا مائتى ألف اختلاف الروايات وزادوا أن الثمن منهامهم- ولعله كان هذا هو الداعي لتأسيس معهد للبحث في القرآن في جامعة مونيخ في المانيا وحاولوا أن يجمعوا فوتو غرافات مخطوطات القرآن من جميع العالم- وفي السنة ١٩٣٣م كان الأستاذ بريتسل الرئيس الثالث لهذا المعهد وجاء الى باريس ليصور المخطوطات التى توجد في فرنسا (وفي المكتبة الأهلية في باريس نسخة يظن المستشرقون الفرنسيون أنها من القرن الثاني للهجرة-وكنت حينداك في السوربون- فقال لى الأستاذ بريتسل إنه يوجد عندهم في ذلك الوقت اثنان وأربعون ألف من نسخ القرآن ، سواء كاملة أو قطعات وأنهم مشغولون بمقارنة هذه النسخ حرفا حرفا- وقبيل الحرب العالمية الثانية نشروا تقريرا موقتا، فقالوا انهم الى ذلك الوقت لم يجدوا اختلافات الرواية الا ما هو من سهو الكاتب- وفي أثنا الحرب وقعت قنبلة أمريكية على هذا المعهد فلم يبق منه ولا إبرة واحدة- ولو جمع أحد مرة ثانية هذه المواد، لأن الأصول محفوظة كلها ، فيصلون باذن اللّٰه إلى نفس النتيجة فلا يوجد فرق بين المخطوطات ، وكذلك لا يوجد فرق بين حفاظ القرآن وهم يعدون بمئات الآلاف بين مشارق الأرض ومغاربها- إلا ماهو معروف منذ قديم الزمان من الاختلاف بين القراء فى تلفظ بعض الكلمات التى لا يغير المعنى، وهو من رخصة النبى عليه السلام لحاجات لهجات القبائل العربية-

تراجم القرآن

اللغات تتغير بمرور الزمن ، وبعد عدة قرون تصير اللغة غير مفهومة للأجيال المتأخرة سواء باليونانية أو اللاطينية أو الفرنسية أو الروسية أو الانجليزية أو غيرها ، والا ستثناء الوحيد هو اللغة العربية التى لم تتغير منذ ألف وخمس مائة سنة على الأقل سواء في الصرف والنحو أو الإملاء أو التلفظ أو معانى الكلمات. لعل هذا الثبات وعدم التغير كان لازما لرسالة الله الأخيرة التى جاء بها إلى البشر من لا نبى بعده. فلو كان النبى عليه السلام حيا اليوم لفهم الإذاعات والجرائد باللغة العربية كما نفهم اليوم القرآن والحديث.ولكن القرآن لم يجئى للعرب فحسب بل كافة للناس بشيرا ونذيرا. فلا نصلى الا بالعربية ولكن لا مانع أن يقرأ العجمى القرآن والتفسير في الترجمة. يظهر أن ترجمة القرآن بدأت في العصر النبوى فقد ذكر شمس الأئمة السرخسى (٢٠):"روى أن الفرس كتبوا إلى سليمان الفارسى رضى الله عنه أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية ، فكانوا يقرءون ذلك في الصلاة حتى لانت ألسنتهم للعربية". وفي رواية تاج الشريعة الحنفى زياده فيقول: أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية" فكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) بنام يزدان بخشاوند الخ) وبعد ما كتب عرضه على النبى ﷺ ثم بعثه اليهم ، ولم ينكر عليه النبى ﷺ .(٢١) قال الجاحظ في البيان والتبيين. (٢٢)

أن موسى بن سيار الأسوارى كان يفسر القرآن بالفارسية. (وهذا من القرن الثانى للهجرة). وقال بزرك بن شهريا .(٢٣)

أن القرآن ترجم كاملًا في سنة ٣٤٥ هـ تقريبا الى إحدى لغات شمال الهند (كأنها السندية أو الملتانية) وفعلا توجد الى هذا اليوم تراجم القرآن بالفارسية والتركية الشرقية والتركية الغربية، وهى من عمل علمائنا من العهد السامانى أى القر الرابع للهجرة ، وقد نشروا منذ قريب في إيران ترجمة القرآن وخلاصة تفسير الطبرى وكل

ذلك بالفارسية ألفه جماعة من كبار العلماء بأمر الملك منصور بن نوح السامانى في سنة ٣٤٥م.

القول بعدم جواز الترجمة

نرى مما مضى أن ترجمة القرآن الى اللغات العجم قبلها العلماء المسلمون بدون أدنى نكير، أما القول بعدم جواز الترجمة فلم يحدث الى في القرن الماضى في تركيا العثمانية وفى مقاطعات العربية مثل سوريا ومصر. فلو تدبرنا وتعمقنا لوجدنا أن هذا معاصر لفتوح النصارى الأروبيين واستعمارهم بلاد الاسلام. فمعروف أنهم حاولوا تنصير المسلمين بكل وسيلة. فلمّ يكتفوا بإرسال المبشرين في شتى الملابس، بل منعوا أيضا تدريس اللغة العربية حتى في المستعمرات العربية مثل شمالى افريقية. كانوا يخافون القرآن للنصرانية أكثر من سيوف المسلمين فأرادوا إتمام حصار قلعة الإسلام بمنع تراجم القرآن باللغة الأجنبية. فالمسلمون غير العرب لا يعرفون العربية ولن يجدوا تراجمه بلغات يعرفونها، فتبقى الساحة فارغة للنصرانية. كأن أحد المبشرين قال لبعض علماء الإسلام الساذجين: " حقا القرآن معجزة، لا تتحمل بلاغته الترجمة". فوثب هذا العالم الساذج لشدة السرور وظن أن الفضل ماشهدت به الأعداء، وبدأ يتكلم حوله ويكتب أن القرآن تصعب أو تسحيل ترجمته، وتبعه آخرون، وفي الخطوة الثانية قالوا: "القرآن لا تجوز ترجمته" وكأن هؤلاء المبشرين النصارى ظنوا أن ترجمة القرآن لا يقوم بها إلا العرب، بينما التاريخ يقول إن المسلمين العجم هم الذين تعلموا العربية وترجموا القرآن إلى لغاتهم لتدريس أولادهم وعامة أهل بلادهم الذين لم يدرسوا العربية. وهكذا يتضح لنا لماذا انحصرت الحركة ضد ترجمة القرآن ببلاد العرب وبالدولة العثمانية مركز الخلافة، ولم تصل إلى الهند وإندونيسيا وأفغانستان وإيران مثلاً:

توجد تراجم القرآن الآن في جميع كبار لغات العالم ، وأيضا في كثير من صغارها ، وبلغ العدد في فهرستي المتواضع إلى أكثر من مائة وأربعين، وفي كثير منها أكثر من ترجمة واحدة. مثلاً في أردو أكثير من ثلاثة مائة ، وفي الفارسية والتركية أكثر من مائة وبالانكليزية قريب من مائة ، وباللاتينية ثلاثة وأربعوان ، وبالفرنسية ست وأربعون، الى غير ذلك ، كنت سعدت بنشر كتاب اسمه " القرآن في كل لسان" فيه تفصيل التراجم في كل لغه مع أنموذج لسورة الفاتحة. الطبعة الثالثة منها كانت في سنة ١٣٦٦هـ ، وكانت عندى في ذلك الوقت تراجم في ٦٧ لغة وتنتظر الطبعة الرابعة المنقحة المزيدة فيها الى وسائل. لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا.

الهوامش

١- الفتوحات المكية، ج ٣ ، ص : ٦٠٧-

٢- المسند للامام أحمد ، ج ٥ ، ص : ٢٦٥-

٣- سورة النجم ٣٧- ٤٢-

٤- ابن اسحاق : كتاب المبتدأو البعث والمغازي ، ص : ١٢٨، فقرة ١٩٢-

٥- الصحيح : ٦٦-٤-٢-

٦- مجمع الزوائد ، ج ١ ، ص : ١٥٢ ، و٨ ، ص: ٦٣٧٥-

٧- سيرة ابن بشام ، طبعة أوربا ، ص : ٢٦٦-

٨- الروض الأنف ، ج ١ ، ص: ٢١٧-٢١٨-

٩- وفاء الوفاء طبع بيروت ، ص : ٨٥٨-

١٠- من حاشية تفسير القرآن لابن كثير ، ص : ١٢-

١١- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج ٦١، ص : ٤٠٥ ، سنن أبى داؤد : كتاب الصلاة ، باب إمامة النساء : ١٦٢ : ٢- الاستيعاب لابن عبد البر ، قسم النساء ، رقم ١٠٧ ، الوفاء لابن الجوزى ص : ٣١٧- المطالب العالية لابن حجر رقم ٤١٥٩ عن ابن راهوية-

١٢- البخاري : كتاب ٦٦ باب ٧ أحاديث ١ ، ٢ ، ٣-

١٣- ذيل التفسير ، ص : ٢٧-

١٤- الاتقان في علوم القرآن،، النوع الثامن عشر، في جمع القرآن وتدوينه-

١٥- البخاري ، كتاب ٦٦ باب ٣ ، جمع القرآن ، حديث رقم ١-

١٦- راجع لتفاصيل أخرى: تفسير الطبرى ، وذيل تفسير ابن كثير ، واختلاف القرآن لابن ابى داؤد بين آخرين-

١٧- الإتقان في علوم القرآن ، النوع الثامن عشر ، في جمع القرآن وتدوينه-

١٨- تفسير الطبرى ، ج ١ ، ص٢-

١٩ـ البخاري : ٢٢ـ٣ـ٢ـ

٢٠ـ شرح القسطلانى على صحيح البخاري ، المجلد الرابع ، ص : ٤٨ـ

٢١ـ المبسوط للسرخسى ، ج ١ ، ص : ٣٧ـ

٢٢ـ النهاية حاشية الهداية ، لناج الشريعة ، طبع دهلى ، ١٩٥٠م ، ج ١ ، ص : ٨٦ ، حاشية رسم ١ـ

٢٣ـ البيان والتبيين ، ص ١ ، ص : ١٢٩ـ

٢٤ـ عجائب الهند والصين ، ص : ٢ـ٣ـ